علامات النبوة

عبد الملك علي الكليب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد؛

فإن الله عزَّ وجلَّ بعث محمدًا ﷺ بعد ستمائة سنة من رفع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وكانت فترة طويلة تحرفت فيها الأديان وكثرت عبادة الأوثان وظهر الفساد في البر والبحر وانتشر الطغيان والظلم والجهل في البادية والحضر، إلا قليلا من أحبار اليهود والنصارى والصابئين، فبعثه الله تبارك وتعالى للخلق كافة إنسهم وجنهم عربهم وعجمهم أبيضهم وأسودهم وأصفرهم رحمة مهداة من لدنه سبحانه بين يدي الساعة، وهاديا إلى الله بإذنه ومبشرا ونذيرا، ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾، ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾، وأيَّده تبارك وتعالى بكتابه الكريم القرآن العظيم المثبت لرسالته والمؤكِّد لنبوته؛ فبدأ بدعوة قومه قريش إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، ونهاهم عن الدماء والفواحش ووأد البنات وقول الزور وأكل مال الأيتام، وأمرهم بالصلاة والزكاة والصيام

والصدق والعفاف وصلة الأرحام، فاستكبر قومه وكذبوه؛ غضبًا لآلهتهم، ونصبوا له العداوة وانطلقوا يرمونه بشتى التهم ويصفونه المجنون وبالساحر وبالكذاب وبالكاهن وبالشاعر، فما صدت تلك التهم الناس عن متابعته، ولم تثنهم عن الإيمان برسالته و التصديق بنبوته، ودخل الناس في الدين الجديد أرسالاً، فلما رأت قريش ذلك ناكرت محمد ﷺ أشد مناكرة، وأجمعت على خلافه وعداوته وعداوة من اتبعه، فكان المؤمن فيهم يفتن في دينه إمَّا قتلوه وإمَّا عذبوه، وتربصوا بالنبي ﷺ يريدون قتله فصرفهم الله عنه وعصمه منهم، ثم هاجر بأصحابه رضوان الله عليهم إلى المدينة، فقدمها بعد ثلاث عشرة سنة من الدعوة المحروبة في مكة؛ حيث عتت قريش على الله تبارك وتعالى وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة، وكذبوا نبيه ﷺ واستكبروا عن متابعته وعذبوا من آمن بالله تعالى وحده وكفر بآلهتهم وسفه أحلامهم.

فلما اطمأن النبي ﷺ بالمدينة واجتمع إليه المهاجرون من مكة ومن غيرها من بلاد العرب استحكم شأن الإسلام، فقامت الصلاة وفرضت الزكاة وقامت الحدود، ثم أذن الله تبارك وتعالى للنبي ﷺ بالقتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم، فتهيأ النبي ﷺ لحربه وقام فيما أمره الله من جهاد عدوه وقتال من أمره الله بقتاله ممن يليه من المشركين، فكان من أمر البطشة الكبرى ببدر ما كان، وظلت الحرب بين رسول الله ﷺ والمشركين سجالا ينال منهم وينالون منه حتى غلبهم على أمره وقهرهم وظهر عليهم، وجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وصدق الله وعده حيث يقول: ﴿**هُوَ**

الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالْهُدَى وَدينِ الْحَقِّ ليُظْهرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنتُمْ صَادقينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنتَظِرُونَ**﴾، فدخل النبي ﷺ مكة فاتحًا ظاهراً منصوراً بعد ثمان سنوات من خروجه منها؛ فحطّم الأصنام التي كانت تملأ المسجد الحرام وطهره من الرجس والأوثان، وجعل سجدة الناس لله الواحد القهار ودانت له قريش وخضعت له العرب واستيقنت صدقه لمَّا لم يصبه ما أصاب إبرهة وجنده من العذاب المعلوم، فأسلم الناس ودخلوا في دين الله أفواجًا، ولم ينتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن أقام العرب على الحنيفية السمحاء والمحجة البيضاء فصلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيراً.

وقد أيد الله تبارك وتعالى نبيه بمعجزات كثيرة وفي مقدمتها كلامه تبارك وتعالى ألا وهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو أشهر معجزات النبي ﷺ.

ومن وجوه إعجازه حسن تأليفه وظهور بلاغته واستحالة مجاراته وجدة أسلوبه واختلافه عن قواعد النظم و النثر المعروفة آنذاك، هذا إلى جانب ما يلحق تاليه من الخشية وما يعتري سامعه من الهيبة وكونه لا يكل قارئه ولا يمل سامعه، وهذا فيما سواه من الكلام معدوم، هذا مع سهولة حفظه ويسر تلاوته، ومن وجوه إعجازه أيضًا ما اشتمل عليه من أخبار الحوادث الماضية التي لم يكن يعلم تفصيلها سوى أفراد قلائل من أهل الكتاب، ولم يُعلم مما ثبت من سيرته ﷺ أنه اجتمع بأحد منهم أو أخذ عنهم، هذا إلى جانب إخباره بما

سيقع، فوقع على وفق ما أخبر به في زمنه ﷺ وبعده، مثل استحالة مجاراة القرآن ولو بسورة وغلب الروم وهزيمة المشركين في بدر ودخول المسجد الحرام واستخلاف المؤمنين وعُلُوّ كلمة الإسلام وأهله، هذا فيه من الأمور العلمية التي لم يُحِطْ بها أحد إلا في السنوات القليلة الماضية من الإشارة إلى نشأة السماوات والأرض من مادة منضمة متماسكة، وإلى دوران الأرض وإلى الجاذبية والكلام عن انخفاض الضغط الجوي بازدياد الارتفاع عن سطح الأرض، والتصريح بكون الرياح لواقح، وغير ذلك من الآيات التي تبرز صدق هذا الكتاب المقدس وتجزم بشكل تام أنه موحى من عند الله عزَّ وجلَّ، وعلى الرغم من نزول القرآن قبل قرون كثيرة من عصر العلوم الحديثة فإن أحدًا لم يتمكن من إثبات أيَّةَ أخطاء علمية فيه، ولو أنه كان كلامًا بشريًا لكان هذا ضربًا من المستحيل؛ خاصة وأن أفكار الناس في زمنه ﷺ عن الكون وأمور العلم الأخرى ستبدو لغوًا باطلًا ساذجًا لو درسناه في ضوء معلومات العصر الحاضر.

وأمَّا ما عدا القرآن من انشقاق القمر وهطول المطر ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ وتكثير الطعام و نطق الجماد؛ كتسبيح الطعام وهو يؤكل وحنين جذع النخلة وانقياد الشجر والإخبار بمصارع المشركين ليلة بدر قبل مصرعهم ونعي أمراء مؤتة قبل أن يأتي الخبر بمقتلهم والإخبار عن شهادة عمر وعثمان وعلي وإنفاق كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله، وعن إصلاح الحسن الفئتين وعن مقتل الحسين وعن فتح القسطنطينية قبل رومية وعن وفاته ﷺ في مرضه الأخير وإخباره فاطمة عليها السلام أنها أول من لحق به من أهله، كل هذه المعجزات

قد رواها العدد الكثير وأفادت القطع عند أهل العلم بالآثار والعناية بالسير والأخبار وذكر النووي في مقدمة شرح مسلم أن معجزات النبي ﷺ تزيد على ألف ومائتين وقال البيهقي في المدخل: بلغت ألفًا.

ولا أقول أني قد أحطت في هذه الرسالة بجميع علامات نبوته ﷺ فهي أكبر من أن تحيط بها مثل هذه الرسالة القصيرة؛ ولكنني قد أظن أني جمعت فيها من النقول الصريحة والأحاديث الصحيحة ما يكفي الملحد - غير المعاند - ليرجع عن إلحاده بإذن الله وأهل الكتاب؛ ليستيقنوا أن الله تبارك وتعالى قد أرسل بعد موسى وعيسى عليهما السلام رسولا نبيًا اسمه محمد ﷺ جاء بدين الإسلام، وأنه لا حظ لهم في الجنة ولا نصيب لهم من ولاية موسى وعيسى عليهما السلام إلا باتباعهم دين الإسلام وترك ما هم عليه من جرأتهم على الله عزَّ وجلَّ أو ادعائهم له الولد، كبرت كلمة تخرج من أفواههم وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ليحيا من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة؛ قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّه الْإِسْلَامُ**﴾، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾، والله اسأل أن يهدي بهذه الرسالة خلقًا كثيرًا من عباده ، يكثر بها ثوابي وأن يجعلها من الأعمال التي لا ينقطع عني نفعها وخيرها بعد أن أدرج في أثوابي، وأنا سائل أخَا انتفع بشيء منها أن يدعو لي ولوالدي وللمسلمين أجمعين، وعلى الله الكريم اعتمادي وإليه تفويضي واستنادي وحسبي الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

عبد الملك علي الكليب

الكويت في ١٨ شوال ١٤٠٤هـ

تبشير الأمم السابقة ببعثة النبي ﷺ

ذكر ابن إسحاق أن الكهان من العرب والأحبار من اليهود والرهبان من النصارى كانوا قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لما تقارب من زمان بعثته، أمَّا الأحبار والرهبان فعمَّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه؛ فمنهم من سماه باسمه ومنهم من ذكره بصفته ومنهم من أضافه إلى بلده و منهم من خصَّه بأفعاله؛ قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾، وأما الكهان فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع؛ إذ كانت لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منها ذكر بعض أموره لا تلقي العرب لذلك فيه بالا حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها[1].

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام (٢١٧/١).

-١-

إخبار الكهان

روى البخاري في الصحيح[١] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ما سمعت عمر لشيء قط يقول: إني لأظنه كذا. إلا كان كما يظن؛ بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل فقال: لقد أخطأ ظني، أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، عليَّ الرجل. فدعي له فقال له ذلك فقال: ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم. قال: فإني أعزم عليك إلاَّ أخبرتني. قال: كنت كاهنهم في الجاهلية. قال: فما أعجب ما جاءتك به جنِّيتُك؟ قال: بينما أنا يومًا في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع فقالت: ألم تر الجن وإبلاسها[٢] ويأسها من بعد إنكاسها[٣] ولحوقها بالقلاص[٤] وأحلاسها[٥]؟ قال عمر: صدق بينما أنا عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به

---

(١) نقلت أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله عن طريق الأحاديث المسندة، وهي التي يتصل إسنادها بنقل العدل الثقة الثبت عن مثله حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ، ولا يكون شاذًا ولا معللا بعلة قادحة.

ومثال ذلك الحديث الذي رواه مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله**» الموطأ (٣٣).

(٢) المراد به اليأس بعد الرجاء

(٣) أي يئست من استراق السمع فانقلبت يائسة.

(٤) القلاص من الإبل: الفتية.

(٥) الإحلاس جمع حلس وهو كساء رقيق يوضع على ظهر الجمل تحت الرحل.

صارخ[١] لم أسمع صارخًا أشد منه يقول: يا جليح[٢] أمر نجيح، رجل فصيح يقول: لا إله إلا أنت فوثب القوم، قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا. ثم نادى: يا جليح، أمر نجيح رجل فصيح يقول: لا إله إلا الله، فقمت فما نشبنا[٣] أن قيل: هذا نبي[٤].

-٢-

إخبار اليهود

وكانوا باقتراب بعثته ﷺ عالمين وبنبوته مؤمنين؛ فقد جاء في التوراة صفته ونعته؛ فمن ذلك ما جاء فيها عن موسى عليه السلام: (قال لي الرب: أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه)[٥] وفي النسخ القديمة: (فأنا أنتقم منه).

ومن المعلوم لكل أحد أنه لم يقم في بني إسرائيل بعد موسى نبي مثله والدليل على ذلك من التوراة نفسها: (ولم يقم بعد نبي في بني إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرَّب وجهًا لوجهه)[٦].

---

(١) أي من جوف العجل كما في رواية أخرى عند ابن إسحاق.

(٢) ومعناه الوقح ويحتمل أن يكون نادى رجلا بعينه.

(٣) أي لم نتعلق بشيء من الأشياء حتى سمعنا أن النبي ص قد خرج، يريد أن ذلك كان قرب مبعث النبي ﷺ.

(٤) فتح الباري (١٧٨/٨).

(٥) الكتاب المقدس: سفر التثنية، الإصحاح الثامن عشر.

(٦) الكتاب المقدس: سفر التثنية، الإصحاح الرابع والثلاثون.

ومن المعلوم أيضًا أن إخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل وليس منهم من ظهر كلام الله تبارك وتعالى على فمه غير محمد ﷺ؛ فهو الذي تكلم بكلام الله عزَّ وجلَّ وهو القرآن الكريم، وهو الذي انتقم الله ممن عصاه وخالف أمره، وقد علم كل أحد ما حلَّ باليهود في عهده ﷺ جزاءً وفاقًا على كفرهم بما أرسل به.

وقد ثبت في إنجيل يوحنا (يحيى عليه السلام) أن اليهود كانوا ينتظرون النبي ﷺ وأنه يأتي بعد المسيح عليه السلام؛ ففي هذا الإنجيل: (وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت؟ فاعترف ولم ينكر وأقر: إني لست أنا المسيح، فسألوه إذًا ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال لست أنا. النبي أنت؟ فأجاب: لا. فقالوا له: من أنت لنعطي جوابًا للذين أرسلونا؟ ماذا تقول عن نفسك؟ قال: أنا صوت صارخ في البرية)(١).

ففي هذا النص دليل قوي على أن اليهود كانوا ينتظرون إيليا والمسيح ونبي يأتي بعد المسيح. فمن هو هذا (النبي) الذي جاء لفظه في الإنجيل مثل لفظه في التوراة مثل لفظه في القرآن إلا أن يكون محمدًا ﷺ.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ

---

(١) انجيل يوحنا: الإصحاح الأول.

وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

تبشير اليهود ببعثته ﷺ

وكانت اليهود تحدث العرب ببعثته ﷺ؛ فقد روى أحمد في مسنده عن سلمة بن سلامة بن وقش رضي الله عنه، وكان من أصحاب بدر قال: كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يومًا من بيته قبل مبعث النبي ﷺ بيسير فوقف على مجلس عبد الأشهل، قال سلمة: ا يومئذ أحدث من فيه سِنًّا عليَّ بردة مضطجعًا فيها بفناء أهلي فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار، فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثًا كائن بعد الموت فقالوا له: ويحك يا فلان ترى هذا كائنًا أن الناس ثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يحلف به لود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبق به عليه وأن ينجو من تلك النار غدًا، قالوا له: ويحك وما آية ذلك؟ قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد. وأشار بيده نحو مكة واليمن، قالوا: ومتى تراه؟ قال: فنظر إلي وأنا من أحدثهم سنًّا فقال: إن يستفذ هذا الغلام عمره يدركه. قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تعالى رسوله ﷺ وهو حي بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغيًا وحسدًا فقلنا: ويلك يا فلان ألست بالذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى وليس به[1]. قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرَّح

---

(1) المسند (٣/٤٦٧).

بالسماع[١] وصححه ابن حِبَّان.

وروى يعقوب بن سفيان عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يهودي قد سكن مكة، فلما كانت الليلة التي ولد فيها النبي ﷺ قال: يا معشر قريش، هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا نعلم. قال: انظروا فإنه ولد في هذه الليلة نبي هذه الأمة بين كتفيه علامة لا يرضع ليلتين؛ لأن عفريتًا من الجن قد وضع يده على فمه، فانصرفوا فسألوا فقيل له: قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام. فذهب اليهودي معهم إلى أمه فأخرجته لهم فلما رأى اليهودي العلامة خر مغشيًا عليه، وقال: ذهبت النبوة من بني إسرائيل، يا معشر قريش أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب، قال الحافظ بن حجر في الفتح: إسناده حسن[٢].

وعن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال: والله إني لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت؛ إذ سمعت يهوديًا يصرخ بأعلى صوته على أطمة[٣] بيثرب: يا معشر يهود. حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك! مالك؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به، رواه ابن إسحاق[٤] وإسناده حسن.

-٣-

(١) مجمع الزوائد (٨/٢٣٠).
(٢) الفتح (٧/٣٩٤).
(٣) الأطمة: الحصن.
(٤) السيرة النبوية لابن هشام (١/١٦٨).

إخبار النصارى

وكذلك كان النصارى يترقبون مبعثه ﷺ، وقد أخبر الله عزَّ وجلَّ أن المسيح بن مريم عليه السلام قد بشر بني إسرائيل ببعثته ﷺ وسماه لهم في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾.

وقد علم كل أحد ما طرأ على النصرانية من تحريف خرج بها من عداد الأديان السماوية التي جاءت بالتوحيد وجعلها في مصاف الأديان الوثنية أديان الشرك والتضليل وخاصة بعد مجمع نيقية عام ٣٢٥م. حيث اضطهد العلماء القائلين بأن المسيح عليه السلام رسول ككل الرسل ونفي بعضهم وقتل البعض الآخر، واتخذ القائلون بالتثليث وألوهية المسيح عليه السلام وكانوا يقلون عن سدس المجتمعين قرارًا بذلك وفرض ذلك على النصارى جميعًا وقرروا أيضًا اختيار الأناجيل التي توافق القرار السابق وأمروا بحرق الأناجيل الأخرى فضلوا وأضلوا.

ولكن يشاء الله عزَّ وجلَّ أن ينجو أحد هذه الأناجيل من أيدي الظلمة ويصل إلى أيدي المسلمين وهو ولله الحمد يزجر بالتوحيد وبالتبشير بالنبي ﷺ صراحة باسمه، ألا وهو إنجيل برنابا.

وقد حاول دعاة النصارى أن ينكروا نسبة هذا الإنجيل لبرنابا الذي هو أحد حواريي المسيح عليه السلام، وأن يرموا به المسلمين

وأن واحدًا منهم هو الذي وضعه، ولكنهم غفلوا عن أمور كثيرة؛ منها أن البابا جلاسيوس الأول الذي جلس على أريكة البابوية سنة ٤٩٢م أصدر أمرًا يعدد فيه أسماء الكتب المنهي عن مطالعتها وفي عدادها كتاب يسمى (إنجيل برنابا) فهذا قبل مبعث النبي ﷺ بتسع وسبعين سنة(١).

ولقد لبث هذا الإنجيل في مكتبة البابا التي كانت في مأمن من التفتيش والمحاسبة قرونًا طويلة، ثم كُتب لراهب لاتيني اسمه فرام رينو العثور على هذا الإنجيل في مكتبة البابا سكتس الخامس في أواخر القرن السادس عشر الميلادي فلما طالعه اعتنق الإسلام على الفور(٢).

ومما يدل على أن إنجيل برنابا كُتب قبل عهد النبي ﷺ بزمن طويل أنه يُكفر القائلين بأن المسيح هو الله، أو ابن الله، ولم يتعرض للذين يقولون أنه ثالث ثلاثة، ومن المعلوم أن القول الأخير لم يظهر إلا في مجمع نيقية عام ٣٢٥م وكان عدد الحضور ٢٠٤٨ من الآباء الروحانيين، وتبنى أغلبهم مذهب آريوس القائل بأن "الأب وحده الله، والابن مخلوع مصنوع، وقد كان الأب إذ لم يكن الابن" تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا فاختلف المجتمعون وتضاربوا فأصدر الإمبراطور قسطنطين الكبير قرارًا بفض المجمع ثم أُعيد عقده بعد ذلك ولم يحضره إلا الأعضاء القائلون بالتثليث وبألوهية المسيح وكان عددهم ٣١٨

---

(١) ولد رسول الله ﷺ صبيحة يوم الاثنين الموافق ٢٠ إبريل سنة ٥٧١ م.

(٢) راجع مقدمة إنجيل برنابا.

وحضر الإمبراطور نفسه هذا الاجتماع واتخذت فيه قرارات خطيرة وضعت الأساس للمسيحية التي لا تزال تتبعها الكنائس.

ومن أهمها القول بالتثليث وألوهية المسيح ونزوله ليصلب تكفيراً عن خطيئة البشر واختيار الكتب التي يسمونها المقدسة زورًا وبهتانًا والتي لا تتعارض مع القرار السابق وتدمير ما عداها من الرسائل والأناجيل، فلو كان هذا الإنجيل من وضع المسلمين لتطرق إلى تكفير المثلثة ولكنه كتب قبل ذلك المجمع بزمن طويل.

ومما غفل عنه متعصبة النصارى أنه لو كان أحد المسلمين هو الذي وضعه بغرض مجادلة النصارى لوُرد ذكر هذا الإنجيل في تلك المجادلات التاريخية المشهورة بين المسلمين والنصارى ولكان أمضى سلاح للمسلمين في مثل تلك المناظرات، فلما لم يحتج بذلك أحد من المسلمين عُلم أنهم كانوا به جاهلين ومن تهمة وضعه بريئين.

ومن ذلك أنه لم يرد في إنجيل برنابا ذكر كلام المسيح عليه السلام لبني إسرائيل في المهد ولم يرد كذلك إخباره بما يدخرون في بيوتهم ولا المائدة التي أنزلت من السماء عليه وعلى الحواريين، ولو أن مسلما أراد أن يضع إنجيلا لوضعه مستعينًا بالأصول التي ثبتت في الكتاب والسنة ولسمَّاه الإنجيل أو إنجيل عيسى.

وأول من عثر على النسخة الإيطالية لهذا الإنجيل هو كريمر أحد مستشاري ملك بروسيا وكان مقيمًا وقتئذ في أمستردام، فأخذها سنة ١٧٠٩ من مكتبة أحد مشاهير المدينة المذكورة، ثم أهداها كريمر بعد ذلك إلى البرنس أيوجين سافوي، ثم انتقلت النسخة المذكورة سنة ١٧٣٨ مع سائر مكتبة البرنس إلى مكتبة البلاط الملكي في فيينا

حيث لا تزال هناك حتى الآن.

وقد جاء ذكر النبي ﷺ في إنجيل برنابا في قرابة سبعًا وأربعين موضعًا منها ما هو بصريح الاسم، ومنها أنه "مسيا" رسول الله أمل بني إسرائيل، ومنها أنه رسول الله الذي يأتي بعد عيسى بن مريم عليه السلام.

فمن ذلك ما جاء في الفصل السابع والتسعين من هذا الإنجيل: "... فقال حينئذ الكاهن: ماذا يُسمَّى مسيا وما هي العلامة التي تعلن مجيئه؟ أجاب يسوع: إن اسم مسيا عجيب؛ لأن الله نفسه سمَّاه ا خلق نفسه ووضعها في بهاء سماوي، قال الله: "اصبر يا محمد لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجمًا غفيرا من الخلائق التي أهبها لك، حتى أن من يباركك يكون مباركًا ومن يلعنك يكون ملعونًا ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص وتكون كلمتك صادقة أن السماء والأرض تهنان ولكن إيمانك لا يهن أبدًا" إن اسمه لمبارك محمد، حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: يا الله أرسل لنا رسولك، يا محمد تعال سريعًا لخلاص العالم.

ومن ذلك ما جاء في الفصل الثاني والأربعين منه: "... فإن رؤساء الكهنة تشاوروا فيما بينهم ليتسقطوه بكلامه لذلك أرسلوا اللاويين وبعض الكتبة يسألونه قائلين: من أنت؟ فاعترف يسوع وقال: "الحق إني لست مسيا" فقالوا: أأنت إيليا أو أرميا أو أ حد الأنبياء القدماء؟ أجاب يسوع: "كلا" حينئذ قالوا: من أنت؟ قل لنشهد للذين أرسلونا فقال حينئذ يسوع: "أنا صوت صارخ في

اليهودية كلها يصرخ: أعدوا طريق رسول الرَّب؟ كما هو مكتوب في أشعيا" قالوا: إذا لم تكن المسيح ولا إيليا أو نبيًا ما، فلماذا تبشر بتعليم جديد وتجعل نفسك أعظم شأنًا من مسيا؟ أجاب يسوع: "إن الآيات التي يفعلها الرَّب على يدي تظهر أني أتكلم بما يريد الله، ولست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه؛ لأني لست أهلا أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذي تسمونه مسيا الذي خلق قبلي وسيأتي بعدي بكلا الحق ولا يكون لدينه نهاية فانصرف اللاويون والكتبة بالخيبة".

فهذا بعض ما ورد في إنجيل برنابا، وقد جاء في إنجيل يوحنا قول عيسى عليه السلام للحواريين: "أنا ذاهب وسيأتيكم البار قليط[(١)] روح الحق ا لذي لا يتكلم من قبل نفسه إلا كما يقال له، وهو يشهد عليَّ وأنتم تشهدون لأنكم معي من قبل الناس وكل شيء أعدَّه الله لكم يخبركم به"[(٢)] وجاء في إنجيل يوحنا أيضًا: "أن البار قليط لا يجيئكم ما لم أذهب فإذا جاء وبَّخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه شيئًا ولكن مما يسمع به يكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب"[(٣)].

فهذه بشائر الإنجيل التي وصلت إلينا وما لم يصل إلينا أصرح في

(١) البار قليط بلغتهم: أي الذي له حمد كثير، فتأمل توافق المعنى مع اسمه عليه الصلاة والسلام.

(٢) إنجيل يوحنا: الإصحاح الخامس عشر.

(٣) إنجيل يوحنا: الإصحاح السادس عشر.

الصفة[1] فمن هو الذي لا يتكلم من قبل نفسه غير محمد ﷺ: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾، ومن الذي وبَّخ العالم على الخطيئة أنجع توبيخ غيره كما قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عُصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**». متفق عليه، وكما قال رسول الله ﷺ: «**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله تعالى وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظلِّ رمحي، وجعل الذُّل والصغار على من خالف أمري**». رواه أحمد[2] وصححه الألباني[3].

وكما كان اليهود يحدثون العرب عن اقتراب بعثته ﷺ، كذلك كان النصارى يفعلون، فقد روى أحمد في مسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني سلمان الفارسي حديثه مِن فيه، قال: كنت رجلًا فارسيًا من أهل أصبهان من أهل قرية منها يقال لها: جي

---

(١) أجزم أن أهل الكتاب كانوا يعرفونه حتى اليوم الذي سوف يقبض فيه رسول الله ﷺ والدليل ما رواه البخاري في الصحيح عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنت في اليمن فلقيت رجلين من أهل اليمن ذا كلاع وذا عمرو فجعلت أحدثهم عن رسول الله ﷺ فقال له ذو عمرو: لئن كان الذي تذكر من أمر صاحبك- أي حقًا- لقد مرَّ على أجله منذ ثلاث، وأقبلا معي حتى إذا كنا في بعض الطريق رفع لنا ركب من قبل المدينة فسألناهم فقالوا قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر والناس صالحون. الفتح (١٣٨/٩).

(٢) المسند (٢/ ٥).

(٣) صحيح الجامع الصغير (٨/٣).

وكان أبي دهقان[١] قريته، وكنت أحبَّ خلق الله إليه فلم يزل به حبُّه إياي حتى حبسني في بيته؛ أي ملازم النار كما تحبس الجارية وأجهدت في المجوسية حتى كنت قطن[٢] النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة. قال: وكانت لأبي ضيعة عظيمة. قال: فشغل في بنيان له يومًا فقال لي: يا بني، إني قد شغلت في بنيان هذا اليوم عن ضيعتي فاذهب فاطلعها، وأمرني فيها ببعض ما يريد، فخرجت أريد ضيعته ، بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يُصلون وكنت لا أدري ما أمر الناس؛ لحبس أبي إياي في بيته، فلما ِت بهم وسمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، قال: فلما رأيتهم أعجبني صلاتهم ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي ولم آتها فقلت لهم: أين أَصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام، قال: ثم رجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله قال: فلما جئته قال: أي بني، أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قال: قلت يا أبتي مررت بناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم حتى غربت الشمس قال: أي بني ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه قال: قلت: كلا والله إنه خير من ديننا. قال: فخافني فجعل في رجلي قيدًا ثم حبسني في بيته. قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى قال: فأخبروني بهم قال: فقلت لهم: إذا

---

(١) الدهقان: شيخ القرية العارف بالفلاحة وما يصلح الأرض.

(٢) قطن النار أي خادمها الذي يخدمها.

قضوا حوائجهم وأرادوا الراجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم. قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم فألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف[1] في الكنيسة. قال: فجئته فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأُصلي معك. قال: فادخل، فدخلت معه قال: فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا إليه منها أشياء اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق[2] قال: وأبغضته بغضًا شديدًا لما رأيته يصنع ثم مات فاجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئًا قالوا وما علمك بذلك؟ قال: قلت أنا أدلُّكم على كنزه. قالوا: فدلنا عليه. قال: فأريتهم موضعه. قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبًا وورقًا قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبدًا. فصلبوه ثم رجموه بالحجارة ثم جاءوا برجل آخر فجعلوه بمكانه. قال: يقول سلمان: فما رأيت رجلاً لا يُصلي الخمس[3] أرى أنه أفضل منه أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ونهارًا منه. قال: فأحببته حبًّا لم أحبه من قبله وأقمت معه زمانًا، ثم حضره الوفاة فقلت له: يا فلان إني كنت معك وأحببتك حبًّا لم أحبه من قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله فإلى من تُوصي بي وما تأمرني؟ قال: أي بني والله ما

---

(١) الأسقف: عالم النصارى الذي يقيم لهم أمر دينهم.

(٢) أي فضة

(٣) أي غير مسلم.

أعلم أحدًا اليوم على ما كنت عليه؛ لقد هلك الناس وبدَّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلًا بالموصل وهو فلان على ما كنت عليه، فالحق به. قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فقلت له: يا فلان إن فلانًا أوصاني عند موته أن ألحق بك وأخبرني أنك على أمره. قال: فقال لي: أقم عندي فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان إن فلانًا أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من الله عزَّ وجلَّ ما ترى، فإلى من تُوصي بي وما تأمرني؟ قال أي بني والله ما أعلم رجلًا على مثل ما كنا عليه إلا رجلًا بنصيبين وهو فلان فالحق به. قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فجئته فأخبرته بخبري وما أمرني به صاحبي. قال: فأقم عندي فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه فأقمت مع خير رجل فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما حضر قلت له: يافلان إن فلانًا كان أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك فإلى من توصي بي وتأمرني، قال: أي بني والله ما نعلم أحدًا بقي على أمرنا؛ آمرك أن تأتيه، إلا رجلًا بعمورية، فإنه بمثل ما نحن عليه فإن أحببت فأته. قال: فإنه على أمرنا قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبري، فقال: أقم عندي فأقمت مع رجل على هدي أصحابه وأمرهم. قال: واكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة، قال: ثم نزل به أمر الله فلما حضر قلت له: يا فلان، إني كنت مع فلان فأوصى بي فلان إلى فلان وأوصى بي فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي وما تأمرني؟ قال: أي بني والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ولكن قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين

إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجرًا إلى أرض بين حرتين[1] بينهما نخل، به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل. قال: ثم مات وغيب فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث ثم مرَّ بي نفر من كلب تجارًا فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه؟ قالوا: نعم، فأعطيتهموها وحملوني حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل من يهود عبدًا فكنت عنده ورأيت النخل ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي ولم يحق لي في نفسي، فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة فابتاعني منه فاحتملني إلى المدينة فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي فأقمت فيها، وبعث الله رسوله فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال فلان: قاتل الله بني قيلة[2] والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة يزعمون أنه نبي. قال: فلما سمعتها أخذتني العرواء[3] حتى ظننت سأسقط على سيدي. قال: ونزلت عن النخلة وجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول ماذا تقول؟ قال: فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة ثم قال: مالك ولهذا أقبل على عملك. قال: قلت: لا شيء إنما أردت أن أستثبت عما قال، وقد كان عندي شيء قد جمعته،

---

(1) الحرة: كل أرض ذات حجارة سوداء.

(2) بني قيلة: هم الأوس والخزرج.

(3) العرواء: الرعدة من البرد والانتفاض.

فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم. قال: فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه «**كلوا**» وأمسك يده فلم يأكل قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ثم جئت به فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها قال: فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان. ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد، قال: وقد تبع جنازة من أصحابه عليه شملتان[1] له وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم[2] الذي وصف لي صاحبي؟ فلما رآني رسول الله ﷺ استدرته عرف أني أستثبت في شيء وصف لي قال: فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته فانكببت عليه أقبله وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: «**تحول**» فتحولت فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس. قال: فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه، ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد، قال: ثم قال لي رسول الله ﷺ: «**كاتب يا سلمان[3]**» فكاتبت صاحبي على

(1) الشملة: كساء غليظ يشتمل به الإنسان، أي يلتحف به.

(2) جاءت صفة خاتم النبوة في أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم وغيرهما، وهي من دلائل نبوته ﷺ قال جابر بن سمرة رضي الله عنه في آخر الحديث الذي وصف به رسول الله ﷺ ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده رواه مسلم (٩٧/١٥).

(3) المكاتبة: يعني أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجما فإذا أداه صار حرًا.

ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير[١] وبأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**أعينوا أخاكم**» فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين ودية[٢] والرجل بعشرين والرجل بخمس عشرة والرجل بعشر، يعني الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية، فقال لي رسول الله ﷺ: «**اذهب يا سلمان ففقر لها فإذا فرغت فائتني أكون أنا أضعها بيدي**» ففقرت لها وأعانني أصحابي حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته فخرج رسول الله ﷺ معي إليها فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول الله ﷺ بيده فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة فأديت النخل وبقي على المال فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي فقال: «**ما فعل الفارسي المكاتب؟**» قال: فدعيت له، فقال: « **خذ هذه فأد بها ما عليك يا سلمان**» فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ قال: «**خذها فإن الله عزَّ وجلَّ سيؤدي بها عنك**» قال: فأخذتها فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وعتقت فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق ثم لم يفتني معه مشهد[٣] قال الهيثمي: ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع[٤] وقال الألباني إسناده حسن[٥].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: خرج أبو طالب إلى

---

(١) أي بالحفر والغرس.
(٢) الودية: واحدة الودي، وهو النخل الصغار.
(٣) المسند (٤٤١/٥).
(٤) مجمع الزوائد (٣٣٦/٩).
(٥) الأحاديث الصحيحة (٥٩٢/٢).

الشام وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت، قال: فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ، قال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خرَّ ساجدًا ولا يسجدان إلا لنبي وأنا أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة. ثم رجع فصنع لهم طعامًا، فلما أتاهم به وكان هو في رعيه الإبل قال: أرسلوا إليه. فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه، قال: فبينما هو قائم عليهم، وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه، فالتفت فإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس وأنا قد أخبرنا خبره بعثنا إلى طريق هذا، فقال: هل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا: إنما اخترنا خيرة لطريقك هذا، قال: أفرأيتم أمرًا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس ردَّه؟ قالوا: لا. قال: فبايعوه وأقاموا معه، قال: أنشدكم الله أيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب، فلم يزل يناشده حتى ردَّه أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالًا، وزوَّده الراهب من الكعك والزيت. رواه الترمذي[1] وقال: هذا

(1) السنن (١٠٦/١٣).

حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال الألباني: إسناده صحيح كما قال الجزري[1]، وذكر ابن إسحاق أن ذلك جرى مع راهب بصري الذي يقال له بحيري وكان إليه علم أهل النصرانية.

خُلُق النبي ﷺ قبل الرسالة واشتهاره بالصدق ومكارم الأخلاق

ذلك ما كان من أمر التبشير ببعثته ﷺ، أما ما كان عليه النبي ﷺ من خلق فقد حفظ لنا التاريخ صحيفة بيضاء ناصعة لحياته ﷺ قبل إعلان النبوة وبعدها، ومما حفظ أنه ﷺ اشتهر بالصدق والأمانة، وأجمعت قريش على أنه يستحيل أن يكذب أو يغدر أو يخون الأمانة وكانوا يلقبونه بالصادق الأمين حتى أنه ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا كان يضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته، لذلك لم يكن صدقه ﷺ حين إعلان النبوة موضع شك أو بحث مطلقًا لدى أهل مكة، فإنهم كانوا على علم تام بحياته الكاملة ولذلك لم يرمه أحد بتهمة الكذب أو الاحتيال في أول الأمر بل ذهبوا يدعون أنه فقدَ وعيه أو أنه شاعر أو ساحر أو مجنون، إلا أن الدارس المنصف لحياته ﷺ يعلم يقينًا أن الطهر والصدق كانا أخص شمائله ﷺ وأظهر صفاته قبل النبوة وبعدها وقد شهد بذلك الأصدقاء والأعداء.

وإليك بعضًا من شهادات أعدائه ﷺ لتعرف مبلغ صدقه وأمانته في دعوى الوحي وأنه لم يكن ليأتي بشيء من القرآن من تلقاء نفسه

([1]) فقه السيرة (٦٨).

ثم يقول هذا من عند الله.

-٤-

شهادة المشركين أول البعثة

روى **البخاري ومسلم** في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «**يا بني فهر، يا بني عدي**» لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: «**أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟**» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: «**إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**» فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ**﴾[1].

فانظر رحمك الله وتأمل في شهادة المشركين للنبي ﷺ بالصدق طيلة عمره معهم: ما جربنا عليك إلا صدقًا. أي أنهم لم يحفظوا عليه كذبة واحدة قبل أن يقول ما قال.

-٥-

شهادة أبي سفيان بين يدي هرقل

روى البخاري في الصحيح عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من

(١) الفتح (١٢٠/١٠) ومسلم (٨٣/٣).

قريش وكانوا تجارًا بالشام في المدة[١] التي كان رسول الله ﷺ مادَّ[٢] فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه بإيلياء[٣] فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان فقلت: أنا أقربهم نسبا فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبًا لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: لا بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه الكلمة[٤] قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه، قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: «**اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما**

---

(١) يعني مدة الصلح بالحديبية سنة ست، وكانت مدتها عشر سنين.

(٢) ماد: ي أطال في مدتها.

(٣) أي القدس.

(٤) أي انتقصه بها.

يقول آباؤكم» ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يأتسي بقول قيل قبله. وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ؟ فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك: أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقًا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه. ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه:

«**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني**

أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين[١]، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون».

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر[٢] أَمْر ابن أبي كبشة[٣] إنه يخافه ملك بني الأصفر[٤] فما زلت موقنًا أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام[٥].

فتأمل شهادة قريش الذين قاتلوا رسول الله ﷺ في بدر وأحد والخندق وكيف سجلها أبو سفيان وهو في الجاهلية على الكفر لما سأله هرقل: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان لا. فلله الحمد والمنة.

–٦–

شهادة أمية بن خلف وامرأته

---

(١) أي الضعفاء والأتباع والفلاحين.

(٢) أي عظم.

(٣) أراد به رسول الله ﷺ.

(٤) أي الروم.

(٥) الفتح (١/٤٤).

روى البخاري في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انطلق سعد بن معاذ معتمراً قال: فنزل على أمية بن خلف أبي صفوان، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمرَّ بالمدينة نزل على سعد فقال أمية لسعد: ألا أنتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت، فبينما سعد يطوف إذا أبو جهل فقال: من هذا الذي يطوف بالكعبة؟ قال سعد: أنا سعد، فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمنًا وقد آويتم محمدًا وأصحابه. فقال: نعم. فتلاحيا بينهم فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم؛ فإنه سيد أهل الوادي، ثم قال سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام. قال فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك. وجعل يمسكه فغضب سعد فقال: دعنا عنك فإني سمعت محمدًا ﷺ يزعم أنه قاتلك، قال: إياي؟ قال: نعم، قال: والله ما يكذب محمدًا إذا حدث فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي؟ قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمدًا يزعم أنه قاتلي، قالت: فوالله ما يكذب محمد. قال: فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: فأراد أن لا يخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشراف الوادي فسر يومًا أو يومين فسار معهم فقتله الله[1].

فتأمل يا عبد الله شهادة الرجل وامرأته عندما قالا: فوالله ما يكذب محمد. حدَّث مع شدة عداوتهما له ﷺ، فيا لها من

---

(1) الفتح (٧/٤٤٢).

شهادة.

هذا، وإنك لو تتبعت سيرته الشريفة من لدن طفولته ﷺ ونشأته إلى شبابه وكهولته إلى مبعثه إلى وفاته ﷺ فلن تشك في أنه كان أصدق الناس وأبعدهم عن الكذب، وأن ذلك كان أخص شمائله صفاته قبل النبوة وبعدها كما شهد ويشهد بها أصدقاؤه وأعداؤه على مرّ العصور.

قالت الدكتورة لورافيشيا فاغليري:" لقد حاول أقوى أعداء الإسلام وقد أعماهم الحقد أن يرموا نبي الله ببعض التُّهم المفتراة، لقد نسوا أن محمدًا كان قبل أن يستهل رسالته موضع الإجلال العظيم من مواطنيه بسبب أمانته وطهارة حياته، ومن عجب أن هؤلاء الناس لا يجشمون أنفسهم عناء التساؤل، كيف جاز أن يقوى محمد على ديد الكاذبين والمرائين في بعض آيات القرآن اللاسعة بنار الجحيم الأبدية لو كان هو قبل ذلك رجلا كذّابا؟ كيف جرؤ على التبشير على الرغم من إهانات مواطنيه إذا لم يكن ثمة قوى داخلية تحثُّه وهو الرجل ذو الفطرة البسيطة حثًّا موصلًا حتى استطاع أن يستهل صراعًا كان يبدو يائسا؟ كيف وفِّق إلى أن يواصل هنا الصراع أكثر من عشر سنوات في مكة في نجاح قليل جدًا وفي أحزان لا تحصى إذا لم يكن مؤمنًا إيمانًا عميقًا بصدق رسالته؟ كيف جاز أن يؤمن به هذا العدد الكبير من المسلمين النبلاء والأذكياء وأن يؤازروه ويدخلوا في الدين الجديد ويشدوا أنفسهم بالتالي إلى مجتمع مؤلف في كثرته من الأرقاء والعتقاء والفقراء المعدمين إذا لم يلمسوا في كلمته حرارة الصدق؟ ولسنا في حاجة إلى أن نقول أكثر من ذلك، فحتى بين الغربيين يكاد

ينعقد الإجماع على أن صدق محمد ﷺ كان عميقًا وأكيدًا "[١].

علامات النبوة بعد بعثته ﷺ

(١) دفاع عن الإسلام (٣٧، ٣٨).

-٧-

إعجاز القرآن المستمر

عجز الجن والإنس عن معارضة القرآن بمثله

أنزل الله عزَّ وجلَّ القرآن على عبده ورسوله النبي الأمي الذي كان لا يعرف القراءة والكتابة ولا يعلم شيئًا عن علم الأوائل وأخبار الماضين فضلًا عن غيب المستأخرين وتحدي من ينكره من الإنس والجن أن يأتوا بمثله، فعجزوا عن ذلك مع توافر دواعي أعدائه على معارضته وفصاحتهم وبلاغتهم، ثم تحدَّاهم بعشر سور منه فعجزوا، ثم تنازل إلى التحدِّي بسورة من مثله فعجزوا عنه، وهذا من أعظم المعجزات وأروع الآيات.

قال الله عزَّ وجلَّ في سورة الطور وهي مكية:

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

أي إن كنتم صادقين في أنه قاله من عنده فأتوا بمثل ما جاء به؛ فإنكم بشر مثله.

وقال تعالى أيضًا في سورة هود وهي مكية أيضًا: **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**.

وقال تعالى في سورة يونس وهي مكية أيضًا: **﴿وَمَا كَانَ هَذَا**

الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.

وقال تعالى في سورة البقرة وهي مدنية: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾.

فانظر رحمك الله كيف تحدَّاهم وكرَّر عليهم ذلك التحدِّي في صور شتى، متهكمًا بهم متنزلًا معهم إلا الأخف فالأخف، وأباح لهم في كل مرة أن يستعينوا بمن شاءوا ومن استطاعوا، ثم رماهم والعالم كله بالعجز في غير مواربة فقال: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾؛ فبين الله جلَّ وعلا أن الخلق عاجزون عن معارضة رآن بل عن عشر سور مثله بل عن سورة منه وأنهم لا يستطيعون ذلك أبدًا؛ كما قال تعالى: ﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا**﴾ أي فإن لم تفعلوا في الماضي و الحاضر ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل، وهذا تحدٍّ ثان وهو أنه لا يمكن معارضتهم له لا في الحال ولا في المآل، ومثل هذا التَّحدي إنما يصدر عن واثق بأن ما جاء به لا يمكن للبشر معارضه ولا الإتيان بمثله، ولو كان من متقول من عند نفسه لخاف أن يعارض فيفتضح ويعود عليه نقيض ما قصده من

متابعة الناس له، خاصَّةً وأنه كما قال القاضي عبد الجبار: لا يعرف العرب كلها ولا يحصي قبائلها، والفصاحة والبلاغة مثبوتة في رجالها ونسائها وعبيدها وإمائها، وقد علم ﷺ نهم في اللغة والبلاغة قبله و منهم تعلم وهو عاقل؛ فلولا أنه قد تيقن أنهم لا يأتون بمثله لما أقدم على الإخبار بذلك.

وهكذا وقع فإنه من لدن رسول الله ﷺ وإلى زماننا هذا لم يستطع أحد أن يأتي بنظيره ولا نظير سورة منه، وهذا لا سبيل إليه أبدًا؛ فإنه كلام رب العالمين الذي لا يشبهه شيء من خلقه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله؛ فأنىَّ يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق، وهكذا لا يزال تحدي القرآن الكريم قائمًا ومستمرًا على مرِّ القرون والأجيال، وهي خاصية عظيمة ورائعة في صالح القرآن تثبت دون مرية أنه كلام رب العالمين، وأي إنسان يتمتع بكفاءة التفكير والإمعان في حقيقة الأمر والتخلي عن التعصب يكفيه ذلك ليؤمن بهذا الكتاب.

قالت المستشرقة الإيطالية الدكتورة لورافيشيا فاغليري في كتابها (دفاع عن الإسلام): "إن معجزة الإسلام العظمى هي القرآن الذي ينقل إلينا الرواية الراسخة غير المنقطعة من خلاله أنباء تتصف بيقين مطلق، إنه كتاب لا سبيل إلى محاكاته، إن كلا من تعبيراته شامل جامع ومع ذلك هو ذو حجم مناسب ليس بالطويل أكثر مما ينبغي وليس بالقصير أكثر مما ينبغي، أما أسلوبه فأصيل فريد، وليس ثمة أيما نمط لهذا الأسلوب في الأدب العربي الذي تحدر إلينا من العصور التي سبقته، والأثر الذي يحدثه في النفس البشرية إنما يتم من غير أيما عون

عرضي أو إضافي من خلال سموه السليقي، إن آياته كلها على مستوى واحد من البلاغة؛ حتى عندما تعالج موضوعات لا بد أن تؤثر في نفسها أو جرسها، كموضوع الوصايا والنواهي وما إليها، إنه صص الأنبياء وأوصاف بدء العالم ونهايته وصفات الله وتفسيرها ولكنه يكررها على نحو مثير إلى درجة لا تضعف من أثرها، وهو ينتقل من موضوع إلى موضوع من غير أن يفقد قوته، إننا نقع هنا على العمق والعذوبة معًا، وهما صفتان لا تجتمعان عادة؛ حيث تجد كل صورة بلاغية تطبيقًا كاملًا؛ فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد ﷺ وهو العربي الأمي الذي لم يلفظ طوال حياته غير بيتين أو ثلاثة أبيات لا ينم أي منها عن أدنى موهبة شعرية.

وقالت أيضًا: إن هذا الكتاب –يعني القرآن– إلى جانب كماله من حيث الشكل والطريقة؛ فقد أثبت أنه ممتنع عن التقليد والمحاكاة حتى في مادته، فنحن نقرأ فيه إلى جانب أشياء أخرى كثيرة تنبؤ ببعض أحداث المستقبل ووصفا لوقائع حدثت منذ قرون ولكنها كانت مجهولة على وجه عام، إن ثمة إشارات كثيرة إلى نواميس الطبيعة وإلى علوم مختلفة دينية ودنيوية، إننا نقع على ذخائر واسعة من المعرفة تُعجز أكثر الناس ذكاءً وأعظم الفلاسفة وأقدر رجال السياسة، ولهذه الأسباب كلها لا يمكن للقرآن أن يكون من عمل رجل غير مثقف قضى حياته كلها وسط مجتمع جاف بعيد عن أصحاب العلم والدين، رجل أصرَّ دائمًا على أنه ليس إلا رجلاً مثل سائر الرجال فهو بوصفه هذا عاجز عن اجتراح المعجزات ما لم

يساعده على ذلك ربُّه الكلي القدرة، إن القرآن لا يُعقل أن ينبثق عن غير الذات التي وسع علمها كل شيء في السماء والأرض"[١].

وقال الذين كفروا من أهل الكتاب أن القرآن ما هو إلا تحريف بشع للتوراة وأن محمداً ﷺ لم يوح إليه حرف واحد من الله تعالى، وأنه تعلمه من "بحير" الراهب عندما لقيه في الشام.

وقد تولى الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني رحمه الله دفع هذه الشبهة في مناهل العرفان بقوله:

أولًا: إن هذه الدعوة مجردة من الدليل، خالية من التحديد والتعيين، ومثل هذه الدعاوى لا تقبل ما دامت غير مدللة، وإلا فليخبرونا ما الذي سمعه محمد من "بحير" الراهب؟ ومتى كان ذلك؟ وأين كان؟

ثانيًا: إن التاريخ لا يعرف أكثر من أنه ﷺ سافر إلى الشام في تجارة مرتين، مرة في طفولته ومرة في شبابه، ولمن يسافر غير هاتين المرتين، ولم يجاوز سوق بصرى فيهما، ولم يسمع من "بحير" ولا من غيره شيئًا من الدين، ولم يك أمره سرًّا هناك؛ بل كان معه شاهد في المرة الأولى وهو عمُّه أبو طالب، وشاهد في الثانية وهو ميسرة غلام خديجة التي خرج الرسول بتجارتها أيامئذ، وكل ما هنالك أن بحيرًا رأى سحابة تظلله ﷺ من الشمس، فذكر لعمّه أن سيكون لهذا الغلام شأن، ثم حذَّره عليه من اليهود، وقد رجع به عمُّه خوفًا عليه ولم يتم رحلته. كذلك رُوي هذا الحادث من طرق في بعض أسانيدها

(١) دفاع عن الإسلام (٥٦-٥٨).

ضعف، ورواية الترمذي ليس فيها اسم "بحير" وليس في شيء من الروايات أنه ﷺ سمع من "بحير" أو تلقى منه درسًا واحدًا أو كلمة واحدة؛ لا في العقائد ولا في العبادات ولا في المعاملات ولا في الأخلاق؛ فأنى يؤفكون؟

ثالثًا: أن تلك الروايات التاريخية نفسها تحيل أن يقف هذا الراهب موقف المعلم لمحمد ﷺ لأنه بشَّره أو بشَّر عمَّه بنبوته، وليس بمعقول أن يؤمن رجل بهذه البشارة التي يزفها ثم ينصب نفسه أستاذًا لصاحبها الذي سيأخذ عن الله ويتلقى من جبريل، ويكون هو أستاذ الأستاذين وهادي الهداة والمرشدين، وإلا كان هذا الراهب متناقضًا مع نفسه.

رابعًا: أن بحيراً الراهب لو كان مصدر هذا الفيض الإسلامي المعجز، لكان هو الأحرى بالنبوة والرسالة والانتداب لهذا الأمر العظيم.

خامسًا: أنه يستحيل في مجرى العادة أن يتم إنسان على وجه الأرض تعليمه وثقافته ثم ينضج النضج الخارق للمعهود فيما تعلم قف بحيث يصبح أستاذ العلم كله لمجرد أنه لقي مصادفة واتفاقًا راهبًا من الرهبان مرتين، على حين أن هذا التلميذ كان في كلتا المرتين مشتغلا عن التعليم با لتجارة، وكان أميًّا لا يعرف القراءة والكتابة، وكان صغيرًا تابعًا لعمه في المرة الأولى، وكان حاملًا لأمانة ثقيلة في عنقه لابد أن يؤديها كاملة في المرة الثانية، وهي أمانة العمل والإخلاص في مال خديجة وتجارتها.

سادسًا: أن طبيعة الدين الذي ينتمي إليه الراهب بحيراً، تأبى أن

تكون مصدرًا للقرآن وهدايته، خصوصًا بعد ما أصاب ذلك الدين ما أصابه من تغيير و تحريف.

وحسبك أدلة على ذلك أن القرآن قد صور علوم أهل الكتاب في زمانه بأنها الجهالات ثم تصدى لتتصحيحها وصور عقائدهم بأنها الضلالات ثم عمـ ى تقويمها وصور أعمالهم بأنها المخازي والمنكرات ثم حضَّ على تركها، ثم تذكر أن فاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه، وأن الخطأ لا يمكن أن يكون مصدرًا للصواب، وأن الظلام لا يمكن أن يكون مشرقًا للنور.

سابعًا: أن أصحاب هذه الشبهة من الملاحدة يقولون: إن القرآن هو الأثر التاريخي الوحيد الذي يمثل روح عصره أصدق تمثيل، فإذا كانوا صادقين في هذه الكلمة فإننا نحاكمهم في هذه الشبهة إلى القرآن نفسه، وندعوهم ليقرأوا ولو مرة واحدة بتعقل ونصفة، ليعرفوا منه كيف كانت الأديان وعلماؤها وكتابها في عصره؟ وليعلموا أنها ما كانت لتصلح لأستاذية رشيدة، بل كانت هي في أشد الحاجة إلى ستاذية رشيدة، إنهم إن فعلوا ذلك فسيستريحون ويُرحون الناس من هذا الضلال والزيغ ومن ذلك الخبط و الخلط هدانا وهداهم الله، فإن الهدى هداه ﴿**وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾.

ثامنًا: أن هذ التهمة لو كان لها نصيب من الصحة، لفرح بها قومه وقاموا لها وقعدوا لأنهم كانوا أعرف الناس برسول الله، وكانوا أحرص الناس على تبهيته وتكذيبه وإحباط دعوته بأيَة وسيلة. ولكنهم كانوا أكرم على أنفسهم من هؤلاء الملاحدة فحين أرادوا

طعنه بأنه تعلم القرآن من غيره لم يفكروا أن يقولوا أنه تعلم من بحير الراهب كما قال هؤلاء، لأن العقل لا يصدق ذلك والهزل لا يسعه، بل لجأوا إلى رجل في نسبة الأستاذية إليه شيء من الطرافة والهزل، حتى إذا مجت العقول نسبة الأستاذية إليه لاستحالتها، قبلتها النفوس لهزلها وطرافتها، فقالوا: إنما يعلمه بشر، وأرادوا بالبشر حدادًا روميًا منهمكًا بين مطرقته وسندانه، ظالًا طول يومه في خبث الحديد وناره انه، غير أنه اجتمع فيه أمران حسبوهما مناط ترويج تهمتهم: أحدهما: أنه مقيم بمكة إقامة تيسر لمحمد الاتصال الدائم الوثيق به، والتلقي عنه. والآخر: غريب عنهم وليس منهم، ليخيلوا إلى قومهم أن عند هذا الرجل علم ما لم يعلموا هم ولا آباؤهم فيكون ذلك أدنى إلى التصديق بأستاذيته لمحمد، وغاب عنهم أن الحق لا يزال نوره ساطعًا يدل عليه، لأن هذا الحداد الرومي أعجمي لا يحسن العربية، فليس بمعقول أن يكون مصدرًا لهذا القرآن الذي هو أبلغ نصوص العربية بل هو معجزة المعجزات ومفخرة العرب واللغة العربية.

﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[١].

---

(١) مناهل العرفان (٢/٣١٧-٣١٩).

-٨-

تحقق وعد الباري عزَّ وجلَّ بحفظ القرآن

أنزل الله عزَّ وجلَّ القرآن على عبده ورسوله محمد ﷺ وتكفل بحفظه من التحريف والتبديل والضياع، فقال تعالى ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾.

وهذه آية من سورة مكية، قال العالم الرباني محمد عبد الله دراز تغمده الله بواسع رحمته: وأنت قد تعرف ما أمر الدعوة المحمدية بمكة، عشر سنوات كلها إعراض من قومه عن الاستماع لقرآنه وصدٌّ لغيرهم عن الإصغاء له واضطهاد وتعذيب لتلك الفئة القليلة التي آمنت به ثم قاطعة له ولعشيرته ومحاصرتهم مدة غير يسيرة في شعب من شعاب مكة ثم مؤامرات سرية أو علنية على قتله أو نفيه، فهل للمرء أن يلمح في ثنايا هذا الليل الحالك الذي طوله عشرة أعوام شعاعًا ولو ضئيلًا من الرجال أن يتنفس صبحه عن الإذن لهؤلاء المظلومين، برفع صوتهم وإعلان دعوتهم؟ ولو شام المصلح تلك البارقة من الأمل في جوانب نفسه من طبيعة دعوته لا في أفق الحوادث، فهل يتفق له في مثل هذه الظروف أن يربو في نفسه الأمل حتى يصير حكمًا قاطعًا؟ وهبه امتلأ رجاء بظهور دعوته في حياته ما دام يتعهدها بنفسه فمن يتكفل له بعد موته ببقاء هذه الدعوة وحمايتها وسط أمواج المستقبل العاتية؟ وكيف يجيئه في ذلك اليقين وهو يعلم من عبر الزمان ما يفت في عضد هذا اليقين؟ فكم من مصلح صرخ بصيحات الإصلاح فما لبثت أصواته أن ذهبت أدراج الرياح وكم من نبي قتل وكم من كتاب

انتقص أو بدل.

لا بد إذًا من كفيل بهذا الحفظ من خارج نفسه ومن ذا الذي يملك هذا الضمان على الدهر المتقلب المملوء بالمفاجآت إلا رب الدهر الذي بيده زمام الحوادث كلها والذي قدر مبدأها ومنتهاها وأحاط علمًا بمجراها ومرساها فلولا فضل الله ورحمته لمَا استطاع القرآن أن يقاوم تلك الحروب العنيفة التي أقيمت ولا تزال تقام عليه بين آن وآن.

سل التاريخ: كم مرة تسلط الفجار على المسلمين فأثخنوا فيهم القتل وأكرهوا أُمَمًا منهم على الكفر وأحرقوا الكتب وهدموا المساجد وصنعوا ما كان يكفي القليل منه لضياع القرآن كلًّا أو بعضًا كما فعل بالكتب قبله لولا أن يد العناية تحرسه فبقي في وسط هذه المعامع رافعًا راياته وأعلامه حافظًا آياته وأحكامه، ذلك بأن الذي يمسكه أن يزول هو الذي يمسك السماوات و الأرض أن تزولا، ذلك بأن الله ﴿**هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ والله بالغ أمره ومُتم نوره فظهر وسيبقى ظاهرًا لا يضيره من خالفه حتى يأتي أمر الله[1].

---

(1) النبأ العظيم (٤٢)

-٩-

انتظام آيات السور رغم تعدد النجوم وتباعد ما بينها

بقي القرآن الكريم يتنزل على قلب النبي ﷺ منجمًا (أي مفرقًا) في مدة ثلاث وعشرين سنة، فلما تمَّ تمَّ مترابطًا محكمًا لا متنافرًا متباعدًا.

قال الزرقاني رحمه الله تعالى: الإرشاد إلى مصدر القرآن وأنه كلام الله وحده وأنه لا يمكن أن يكون كلام محمد ﷺ ولا كلام مخلوق سواه وبيان ذلك أن القرآن الكريم نقرؤ ه من أوله إلى آخره، فإذا هو محكم السرد دقيق السبك قوي الاتصال آخذ بعضهم برقاب بعض في سورة وآياته وجمله، يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه كأنه سبيكة واحدة ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل كأنه سمط وحيد وعقد فريد يأخذ بالأبصار نظمت حروفه وكلماته ونسقتت جمله وآياته، وهنا نتساءل: كيف اتسق للقرآن هذا التأليف المعجز؟ وكيف استقام له هذا التناسق المدهش؟ على حين أنه لم يتنزل جملة واحدة بل تنزل آحادًا مفرقة تفرق الوقائع والحوادث في أكثر من عشرين عامًا؟

الجواب: أننا نلمح هنا سرًّا جديدًا من أسرار الإعجاز و نشهد سمة فذَّة من سمات الربوبية ونقرأ دليلًا ساطعًا على مصدر القرآن وأنه كلام الواحد الديان ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾.

وإلا فحدثني –بربك– كيف تستطيع أنت أم كيف يستطيع الخلق جميعًا أن يأتوا بكتاب محككم الاتصال والترابط متبين النسج والسرد متآلف البدايات والنهايات مع خضوعه في التأليف لعوامل خارجة عن مقدور البشر؟ وهي وقائع الزمن وأحداثه التي يجيء كل جزء من هذا الكتاب تبعًا لها ومتحدثًا عنها سببًا بعد سبب وداعية بعد داعية مع اختلاف ما بين هذه الدواعي وتغاير ما بين تلك الأسباب ومع تراخي زمان هذا التأليف وتطاول آماد النجوم إلى أكثر من عشرين عامًا.

لا ريب أن هذا الانفصال الزماني وذاك الاختلاف الملحوظ بين هاتيك الدواعي يستلزمان في مجرى العادة الفكك والانحلال ولا يدعان مجالا للاربط والاتصال بين نجوم هذا الكلام.

أما القرآن الكريم فقد خرق العادة في هذه الناحية أيضًا: نزل مفرقًا منجمًا ولكنه تم مترابطًا محكمًا وتفرقت نجومه تفرق الأسباب و لكن اجتمع نظمه اجتماع شمل الأحباب ولم يتكامل نزوله إلا بعد عشرين عامًا ولكن تكامل انسجامه بداية وختامًا !

أليس ذلك برهانًا ساطعًا على أنه كلام خالق القوي والقدر ومالك الأسباب والمسببات ومدبر الخلق والكائنات وقيُّوم الأرض و السماوات العليم بما كان سيكون الخبير بالزمان وما يحدث فيه من شئون ؟

لاحظ فوق ما أسلفنا أن رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه آية قال: «**ضعوها في مكان كذا من سورة كذا**» وهو بشر لا يدري

(طبعًا) ما ستجيء به الأيام ولا يعلم ما سيكون في مستقبل الزمان ولا يدرك ما سيحدث من الدواعي والأحداث فضلًا عما سينزل من الله فيها وهكذا يمضي العمر الطويل والرسول على هذا العهد يأتيه الوحي بالقرآن نجمًا بعد نجم، وإذا القرآن كله بعد هذا العمر الطويل يكمل ويتم وينتظم ويتآخى ويأتلف ويلتئم ولا يؤخذ عليه أدنى تخاذل ولا تفاوت بل يعجز الخلق طرءًا بما فيه من انسجام ووحدة وترابط ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾.

إذًا فالقرآن الكريم ينطق نزوله منجمًا بأنه كلام الله وحده، وتلك حكمة جليلة الشأن تدل الخلق على الحق في مصدر القرآن.

﴿**قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا** *﴾ انتهى ملخصًا[١].

-١٠-

اختلاف أسلوب القرآن عن أسلوب الحديث

ورثنا كلام الله تعالى (القرآن) وكلام رسول الله ﷺ (الحديث) فما وجدنا بينهما في الأسلوب شبهًا ولا تقاربًا، بل وجدنا الأسلوب القرآني ضربًا وحده، ووجدنا الحديث النبوي ضربًا وحده، فلو كان القرآن من عند محمد ﷺ للزم التشابه أو حتى التقارب بين القرآن والحديث، خاصة وقد لبث ثلاثًا وعشرين عامًا يتلو هذا القرآن العظيم ويتكلم بالكلام المحمدي فلما رأينا البعد في الأسلوب بينهما

(١) مناهل العرفان (١/٥٥).

ازددنا يقينًا بصدق رسول الله ﷺ وأنه ﴿**مَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾.

كذلك لو كان محمد ﷺ هو الذي أتى بالقرآن من تلقاء نفسه لاستطاع أن يأتي بمثله أو بسورة من مثله ولو قصرت من هو أشبه الناس به طبعًا وأكثرهم له مصاحبة ولكن شيئًا من هذا لم يحدث، فلذلك سلمنا بنبوته ﷺ ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ**﴾.

-١١-

امتناع اليهود من تمني الموت

ذلك أن اليهود عليهم لعائن الله تعالى كانوا يزعمون أنهم أبناء لله وأحباؤه وأنهم هم أهل الجنة وأن من عداهم من أهل النار، فلما بعث الله عزَ وجلَ نبيه ﷺ بالهدى ودين الحق استكبروا وكذبوا واتبعوا أهواءهم، وهم إذ ذاك يعرفون النبي ﷺ كما أخبر الله جلَّ ثناؤه ﴿**كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ**﴾ فأمر الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ كما أخبر ابن جرير رحمه الله أن يقول لفريق اليهود: إن كنتم محقين فتمنوا الموت فإن ذلك غير ضاركم إن كنتم محقين فيما تدعون من الإيمان وقرب المنزلة من الله فإنما تصيرون إلى الراحة من تعب الدنيا والفوز بجوار الله في جناته إن كان الأمر كما تزعمون، فامتنعت اليهود من إجابته ﷺ إلى ذلك علمها أنها إن تمنت الموت هلكت فذهبت دنياها وصارت إلى خزي مقيم وعذاب أليم، فلما تأخروا ظهر كذب أحبارهم ووضع ضلال علمائهم.

ومثل هذا التحدِّي لا يمكن أن يصدر عن متقول و مثل هذا النكوص لا يكون من أُمَّة كتابية إلا أن تكون قد استيقنت بأن هذا المتحدي هو النبي الأُمِّي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، وظلت اليهود باقية على الامتناع فلم يقع تمني الموت ممن سلف منهم ولا خلف، كلهم يأبى تمني الموت، وهذا هو الإعجاز المستمر.

قال الله عزَّ وجلَّ في سورة البقرة: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآَخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

-١٢-

امتنع نصارى نجران من الملاعنة

كان من أمرهم أنهم قدموا على رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الإسلام فقالوا: قد أسلمنا قبلك، وكذبوا فقد منعهم من الإسلام دعاؤهم لله الولد وعبادتهم الصليب وأكلهم الخنزير، وبلغ بهم العناد والجهل والاستكبار والغلو في عيسى بن مريم عليه السلام أن قالوا: فمن أبوه يا محمد؟ فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ومن ذلك قوله عزَّ وجلَّ.

﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآَيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ * إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ فدعاهم رسول الله ﷺ بعد قيام الحجة عليهم في المناظرة إلى المباهلة إن ردُّوا ذلك عليه فجنحوا للسلم وبذلوا الجزية عن يد وهم صاغرون فضربها عليهم.

روى البخاري في الصحيح عن حذيفة رضي الله عنه قال: جاء العاقب والسيد صاحب نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلعناه قال: فقال أحدهما لصاحبه لا تفعل فوالله لئن كان نبيًا فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلًا أمينا فقال: «**لأبعثن معكم رجلا أمينًا حق أمين**» فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: «**قم يا أبا عبيدة بن الجراح**» فلما قام قال رسول الله ﷺ «**هذا أمين هذه الأمة**»[1].

وهذا من الإعجاز الباهر إذ أنهم لما نكلوا عن المباهلة وخافوا العواقب من جراء ذلك علم كذبهم وظهر ضلالهم؛ لأنهم لو كانوا ين أنهم على الحق وأن محمدًا مفترٍ كذاب لكانوا أقدموا على

(١) الفتح (٩/١٥٧).

المباهلة، فلله الحمد ملء السماوات وملء الأرض الذي هدانا للإسلام وجعلنا من المسلمين، يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو العلي العظيم

-١٣-

الدقة في ذكر أخبار الأنبياء عليهم السلام وما جري لهم مع أممهم[١]

لقد علم كل أحد أن محمدًا ﷺ ظهر في مكة واشتهر بالأُمية فلم يكن يتلو شيئًا من الكتاب فيتعلم بذلك ما يمكن تعلم من أخبار الأمم المتقدمة ولم يكن يكتب بيده هذه الأخبار فيقدم ويؤخر ليخرجها أخيراً بأسلوب جديد وكتاب فريد اسمه القرآن. قال تعالى: ﴿**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾.

أليس يكفي إذًا للإقرار بنبوة من هذه حاله من الأُمية أن يقول وهو الذي اشتهر بالصدق والأمانة حتى سمي بالصادق الأمين قبل مبعثه: أن الله اصطفاه وبعثه للناس رسولا ويأتي بكلام لم يعهد أنه تكلم به في ما مضى من حياته ويذكر مجمل ما جرى من قصص الأولين وما جرى لهم مع أنبيائهم وحوادث طوفان نوح وريح هود وناقة صالح وغير ذلك من الأحداث بتفصيل دقيق حتى إنه ليذكر ن أهل الكهف أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا،

---

(١) إن شئت فاقرأ من القرآن الكريم سورة الأعراف أو سورة هود أو سورة مريم.

ند أهل الكتاب أنهم لبثوا في الكهف ثلاثمائة سنة وهذه السنون التسع هي الفرق بين عدد السنين الشمسية عند أهل الكتاب والقمرية عند العرب. والذي نفسي بيده لو لم يكن من علامات نبوته إلا هذه لكفى وزاد عن الكفاية فتعسًا لمن لا يستجيب.

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

-١٤-

ما في القرآن من العلوم والمعارف التي يستحيل على الأُميين الإحاطة بها

قال الزرقاني رحمه الله: وبيان ذلك أن القرآن قد اشتمل على علوم ومعارف في هداية الخلق إلى الحق، بلغت من نبالة القصد ونصاعة الحجة وحسن الأثر وعموم النفع مبلغًا يستحيل على محمد وهو رجل أمي نشأ بين الأميين أن يـ[illegible] بها من عند نفسه بل يستحيل على أهل الأرض جميعًا من علماء وأدباء وفلاسفة ومشترعين وأخلاقيين أن يأتوا من تلقاء أنفسهم بمثلها.

هذا هو التنزيل الحكيم، تقرؤه فإذا بحر العلوم والمعارف متلاطم زاخر وإذا روح الإصلاح فيه قوي قاهر، ثم إذا هو يجمع الكمال من أطرافه، فبينما تراه يصلح ما أفسده الفلاسفة بفلسفتهم إذ تراه يهدم ما تردى فيه الوثنيون بشركهم وبينما تراه يصحح ما حرفه أهل [illegible]يان في دياناتهم إذ تراه يقدم للإنسانية مزيجًا صالحًا من عقيدة راشدة ترفع همَّة العبد، وعبادة قويمة تطهر نفس الإنسان، وأخلاق

عالية تؤهل المرء لأن يكون خليفة الله في الأرض، وأحكام شخصية مدنية واجتماعية تكفل حياة المجتمع من الفوضى والفساد وتضمن له حياة الطمأنينة والنظام والسلام والسعادة... دينًا قيما يساوق الفطرة ويوائم الطبيعة ويشبع حاجات القلب والعقل، ويوفق بين مطالب الروح والجسد ويؤلف بين مصالح الدين والدنيا، ويجمع بين عزِّ الآخرة والأولى، كل ذلك في قصد واعتدال وبراهين واضحة مقنعة تبهر العقل وتملك اللب. والكلام على هذه التفاصيل يستنفذ مجلدًا بل مجلدات فلنجتزئ هنا بأمثلة وإشارات، ولنخترها في موضوع العقائد التي هي واحدة في جميع أديان الله بحسب أصلها قبل التحريف، ولنتعرض في هذه الأمثلة إلى شيء من المقارنة بين تعاليم الإسلام وتعاليم اليهود والنصارى على عهد نزوله، ثم إلى شيء من ردِّ القرآن عليهم وتصحيحه لأغلاطهم وفضحه لأباطيلهم، ومقصدنا ن هذا قطع ألسنة خراصة، زعم أصحابها أن تعاليم القرآن استمدها محمد من بعض أهل الكتاب في عصره ثم نسبها إلى ربّه ليستمد من هذه النسبة قُدسيتها ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا**﴾.

أ- أمثلة من عقيدة الإيمان بالله:

١- جاء القرآن بالعقيدة في الله بيضاء نقية، نزهه فيها عن جميع ص ونص على استحالة الولد وكل ما يشعر بمشابهة الخالق بالمخلوق ووصف الله بالكمال المطلق ونص على وحدانيته في ربوبيته ووحدانيته في ألوهيته، بمعنى أنه أحد في تدبير خلقه واحد في استحقاقه العبادة دون غيره.

ألم تر أنه يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

ويقول: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾.

ويقول: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾.

ويقول: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

ويقول: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

ويقول: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ * وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

ويقول: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

ويقول: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾.

ويقول: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

ويقول: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**﴾ إلى غير ذلك وهو جد كثير.

٢- وضلَّ اليهود بعد موسى فعبدوا بعلا، وزعموا في عهد من عهودهم أن لله ابنا، وشبهوا الله تعالى بالإنسان فنعتوه بأنه تعب من خلق السماوات والأرض فاستراح يوم السبت، وركبوا رؤوسهم فقالوا أنه سبحانه ظهر في شكل إنسان وصارع إسرائيل فلم يقدر على التفلت منه حتى باركه فأطلقه، إلى غير ذلك من أغلاطهم وفضائحهم.

٣- وضلَّ النصارى بعد عيسى، فذهبوا إلى عقيدة معقدة من التثليث وصارت كنائسهم من عهد قسطنطين كهياكل الوثنية الأولى ا على رجال كهنوتهم ما هو حقٌّ الله وحده من التشريع والتحليل والتحريم، حتى تعزى بهم وثنيو العرب ورأوا أنهم أمثل من هؤلاء المسيحيين في الوثنية.

﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ**﴾.

ثم احتجوا على شركهم بأنهم ما سمعوا دعوة التوحيد الذي جاء به الإسلام في الملة الآخرة.

﴿**وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ**﴾ أي النصرانية.

٤- فانظر مدى البون الشاسع بين الحق الذي جاء به القرآن في هذا الباب، وبين الباطل الذي جاء به هؤلاء وهؤلاء، على أن كتاب الله لم يكتف بذلك، بل ردَّ على أولئك المبطلين ببراهينه الساطعة وأدلته القاطعة استمع إليه وهو يقول: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾.

ويقول: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا * لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا**﴾.

ويقول: ﴿**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾.

﴿ **تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾.

ويقول: ﴿بَديعُ السَّمَاوَات وَالْأَرْض أَنَّى يكُونُ لَهُ وَلَدٌ ولَمْ تكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ﴾.

ويقول في نفي التعب الذي افتراه اليهود على الله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا منْ لُغُوبٍ﴾.

ويقول نعيا عليهم في فرية أخرى: ﴿وَقَالَت الْيَهُودُ يَدُ اللَّه مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَان يُنْفقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾.

ويقول في نفي البنوة التي زعموها لله هم والنصارى: ﴿وَقَالَت الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّه وَقَالَت النَّصَارَى الْمَسيحُ ابْنُ اللَّه ذَلكَ قَوْلُهُمْ بأَفْوَاههمْ يُضَاهَئُونَ قَوْلَ الَّذين كَفَرُوا منْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ ورهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا منْ دُون اللَّه وَالْمَسيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمرُوا إِلَّا ليَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُريدُونَ أَنْ يُطْفئُوا نُورَ اللَّه بأَفْوَاههمْ ويَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافرُونَ﴾.

ب- أمثلة من عقيدة البعث والجزاء:

١- جاء القرآن بعقيدة البعث بعد الموت واضحة شاملة للروح والجسد، عادلة لا ظلم فيها ولا محاباة، مقسطة لا شفاعة هناك بالمعنى الفاسد ولا فداء، عامة لا فضل لجنس ولا لطائفة ولا لشخص إلا بالتقوى.

اقرأ إن شئت قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ منَ الْأَرْضِ نَبَاتًا *

ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾.

وقوله:﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ***﴾.

وقوله:﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ***﴾.

وقوله: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾.

وقوله: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾.

وقوله: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ**﴾.

٢- ضلَّ اليهود فزعموا أنهم الشعب المختار من بين شعوب ض، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس، وأن النار لن تمسـم إلا أيامًا معدودة هي مدة عبادتهم العجل أربعين يومًا.

٣- وضلَّ النصارى فزعموا أيضًا أنهم أبناء الله وأحباؤه وذهبوا في المسيح مذهب الهنود في كرشنة أنه قتل وصلب ليخلص الإنسان ويفديه من الخطيئة فهو المخلص الفادي الذي يخلص الناس من عقوبة الخطايا ويفديهم بنفسه، وهو الأقنوم الثاني من الثالوث الإلهي

الذي هو عين الأول والثالث وكل منهما عين الأخير. كذلك قال الهنود في كرشنة، ثم جاء مُخرِّفة النصارى فتابعوهم على هذا الخيال الفاسد، الذي تأباه العقول والطباع، ولا يتفق وعدل الله وحكمته في الجزاء والمسئولية، ولم يستطع الخابطون في هذا الضلال أن يروجوه في ضحاياهم إلا بترويضهم عليه من عهد الصغر، وتنشئتهم على سماعه واعتقاده من غير بحث ولا نظر، بل قالوا: "اعتقد وأنت أعمى".

٤- وضلَّ نساك النصارى فتابعوا الهنود أيضًا في احتقار اللذات المادية، وفي تربية النفوس على الحرمان وتعذيب الجسد، وزادوا الطين بلة فقالوا: إن البعث روحاني مجرد عن إعادة الجسم، مخدوعين بتلك النظرية الفلسفية الخاطئة وهي احتقار اللذات المادية وذمهم إياها بأنها حيوانية، وغاب عنهم أنها لا تكون نقصًا إلا إذا سخر الإنسان عقله وقواه لها وأسرف فيها إسرافًا يشغله عن اللذات العقلية والروحية القائمة على العلم النافع والعمل الصالح، أما إذا اعتدل فيها ووفق بين المطالب الروحية والجسمية، فتلك مفخرة للإنسان وميزة لنوع الإنسان ـار عالما عجيبًا جمع بين روحانية الملائكة وجثمانية الحيوان والنبات، وقد خلقه الله في الدنيا مظهرا من مظاهر إبداعه واقتداره، فكيف ينقص ملكوت الآخرة هذا المظهر العجيب، على حين أن الآخرة هي دار العجائب والغرائب فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ؟

﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ[1] لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

---

(1) الحيوان: أي دار الحياة الدائمة التي لا زوال لها ولا انقضاء ولا يموت أهلها ولا =

٥- وكذلك ضلَّ متطرفة اليهود فعكسوا الأمر، وأفرطوا في حب المادة حتى أحلُّوا لأنفسهم جمعها من أي طريق، وبالغوا في استنزاف دماء العالم في الربا وأكل أموال الناس بالباطل وظنوا أن لا جناح عليهم إذا رزءوا أي عنصر غريب عنهم.

﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ**﴾.

٦- ولكن القرآن قد جاء يردُّ هؤلاء وهؤلاء إلى جادة الاعتدال، ووقف موقفًا وسطًا يرجع إليه الغالي وينتهي إليه المقصر، فأعلن عقيدته في وضوح على نحو ما ذكرنا، وتناول أخطاءهم المذكورة بالإصلاح والتقويم، فقال في معرض الردِّ على أنهم الشعب المختار: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآَخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾.

وقال في هذا المعرض أيضًا: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾.

وقال أيضًا: ﴿**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا**[1]﴾.

=

يسقمون ولا يحزنون ولا يهرمون بل هم أبدًا في نعيم مقيم.

[1] النقير: نكتة في ظهر النواة منها تنبت النخلة.

وقال في معرض الرد على أنهم أبناء الله وأحباؤه: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾.

وقال في تفنيد ما زعموه من أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة: ﴿**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ***﴾.

وقال في تكذيب ما زعموا من قتل عيسى وصلبه: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**﴾.

وقال في دحض عقيدة الفداء: ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ***﴾.

وقال: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾.

ونزلت سورة المسد تسجل العذاب على عمٍّ من أعمام أفضل

الخلق محمد ﷺ وذكر القرآن ما ذكر في ابن نوح ولم يطب القرآن نفسًا بضلالة "اعتقد وأنت أعمى" بل حثَّ على النظر والتفكر وحاكم العقائد والتعاليم الإسلامية إلى العقول السليمة، ونعى على المقلدين تقليدًا أعمى والأمر في هذا أظهر من أن تساق له الأمثلة.

وعالج القرآن شبهة احتقار اللذات المادية بالمعنى الذي أرادوه فقال: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**﴾.

وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾.

وذمَّ الرهبانية ومبتدعيها فقال: ﴿**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا**﴾.

وعاب على اليهود خيانتهم وظلمهم للشعوب فقال: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾.

وقال: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا**

وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾.

وقال: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** *﴾

إلى غير ذلك من آيات كثيرة في هذه المواضيع.

والذي نريد أن تفطن له هنا، هو أن هداية القرآن كما رأيت هداية تامة عامة صححت معارف الفلاسفة المنكبين، على البحث والنظر كما صححت معارف الأُميين ومن لا ينتمي إلى العلم بسبب، وصححت أغلاط أهل الكتاب من يهود ونصارى، كما صححت أغلاط مؤلهة الحجر وعبدة الوثن وإذن فليس يصح في الأذهان شيء إذا قيل: إن هذه الهدايات القرآنية ليست وحيًا من الله وإنما هي نابعة من نفس محمد الأُمي الناشيء في الأُميين وليس يصح في الأذهان شيء إذا قيل أنه ﷺ قد استقى هذه الهدايات من بعض أهل الكتاب الذين لقيهم في الجزيرة العربية، ولو صحَّ هذا لكانوا هم أولى منه بدعوى الرسالة والنبوة، وكيف يصح هذا والقرآن هو الذي علمهم ما جهلوا من حقائق دينهم؟ وهل فاقد الشيء يعطيه؟ وحسبك ما قدمناه لك من تلك الأمثلة التي تتصل بأساس الأديان وصميم العقائد والتي تُريك بالمنظار المُكبِّر أن القرآن جالس على كرسي الأستاذية العليا للعالم كله يعلم اليهود والنصارى وغير اليهود والنصارى، لا على معقد التلمذة الدنيا يتلقف من هؤلاء وهؤلاء.

فإن لم يكفك ما سمعت، فدونك القرآن تصفحه وتجول في آفاقه وناهيك مثل قوله: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ**

كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

ومثل قوله: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.

وإن شئت أكثر من هذا فتأمل كيف أعلن الحق في صراحة أن بيانه لأهل الكتاب ما اختلفوا فيه هو من مقاصده الأولى إذ قال في سورة النحل: ﴿**وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾.

هكذا قدم أنه بيان لما اختلف فيه الكتابيون قبل أن يقول: وهدى ورحمة لقوم يؤمنون. وكذلك قال في سورة النحل: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**﴾.

لقد لفت القرآن نفسه أنظار الناس إلى هذه الناحية من الإعجاز وأقام الدليل على أنه كلام الله ولا يمكن أن يكون كلام محمد، إذ قال جلَّت حكمته في سورة العنكبوت: ﴿**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ * وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ**

وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ *﴾.

وقال سبحانه مرة أخرى في سورة الشورى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[1].

-١٥-

النبوءات القرآنية تتحقق طبق ما جاء سواء بسواء

تحقق وعد الله عزَّ وجلَّ بظهور الروم على الفرس في بضع سنين

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وهذا الوعد وقع كما أخبر به الباري جلت قدرته وذلك أنه لمَّا غلبت فارس الروم فرح المشركون واغتم بذلك المسلمون لأن النصارى أقرب إلى الإسلام من المجوس فأخبر الله عزَّ وجلَّ رسوله ﷺ بأن الروم ستغلب الفرس بعد هذه المدة في أقل من تسع سنين وكان من أمر

(1) مناهل العرفان (٢/٢٣٨/٢٤٦).

مراهنة الصديق رضي الله عنه رؤوس المشركين على أن ذلك سيقع في هذه المدة ما هو مشهور ومبسوط في كتب التفسير فوقع الأمر كما أخبر به الله تعالى، غلبت الروم فارس بعد غلبهم غلبًا عظيمًا جدًا وأسلم عند ذلك ناس كثير. فسبحان الله علّام الغيوب، ولله الحمد والمنة.

لقد كان الإخبار بهذا النصر وبأنه كائن في وقت معين إخبارًا بأمرين كل منهما خارج عن متناول الظنون وإحاطة العلماء والأُميين، ذلك أن دولة الروم كانت قد بلغت من الضعف حدًا يكفي من دلائله أنها غُزيت في عُقر دارها وهُزمت في بلادها فغلب سابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصي بلاد الروم واضطر هرقل ملك الروم حتى ألجأه إلى القسطنطينية وحصره فيها مدة ويلة فلم يكن أحد يظن أنها تقوم لها بعد ذلك قائمة فضلًا عن أن يحدد الوقت الذي سيكون لها فيها النصر ولذلك كذب به المشركون هنوا على تكذيبه، على أن القرآن لم يكتف بهذين الوعدين بل عززهما بثالث حيث يقول: ﴿**وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ**﴾.

إشارة إلى أن اليوم الذي يكون فيه النصر هنالك للروم على الفرس سيقع فيه ها هنا نصر للمسلمين على المشركين وإذا كان كل واحد من النصرين في حد ذاته مستبعدًا عند الناس أشد الاستبعاد فكيف بالظن بوقوعهما مقترنين في يوم؟ لذلك أكده تعالى أعظم التأكيد بقوله: ﴿**وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾.

ولقد صدق الله عزَّ وجلَّ وعده فتمَّت للروم الغلبة على الفرس بإجماع المؤرخين في أقل من تسع سنين، وكان يوم نصرها هو اليوم الذي وقع فيه النصر للمسلمين على المشركين في غزوة بدر الكبرى كما رواه الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: «**لمَّا كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس**» فلله الحمد والمنة ولله الأمر من قبل ومن بعد وسبحان الله علّام الغيوب.

﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾.

يقول المؤرخ إدوارد جيبون في كتابه "تاريخ سقوط واندحار الأمبرواطورية الرومانية".

"في ذلك الوقت حين تنبـ القرآن بهذه النبوءة لم تكن آية نبوءة يظن أنها أبعد وقوعًا منها لأن السنين الإثنتي عشرة الأولى من حكومة هرقل كانت تؤذن بانتهاء الإمبراطورية الرومانية"[1].

-١٦-

تحقق وعد الله عزَّ وجلَّ بموت أبي لهب وامرأته على الكفر

قال تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا**

---

(١) الإسلام يتحدى (٢٠١).

كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ *﴾ فأخبر أن عمَّه عبد العزى بن عبد المطلب الملقب بأبي لهب سيدخل النار هو وامرأته فقدَّر الله عزَّ وجلَّ أنهما ماتا على شركهما لم يسلما حتى ولا ظاهرًا وهذا من دلائل النبوة الباهرة إذ أنه أمر من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا مُقدِّر الأقدار.

-١٧-

تحقق وعد الله عزَّ وجلَّ بهزيمة جمع المشركين في بدر

قال تعالى في سورة القمر وهي مكية: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ * سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾.

ووقع هذا يوم بدر وقد تلاها رسول الله ﷺ وهو خارج من العريش قبل المعركة ورماهم بقبضة من الحصباء فكان النصر والظفر فلله الحمد والمنة، وفي هذا اليوم استجاب الله عزَّ وجلَّ لنبيه ﷺ فقد روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجل، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربه:

«**اللهم انجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض**».

ما زوال يهتف بربِّه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من

ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾.

فأمدَّه الله بالملائكة، قال أبو زميل: فحدثني ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم(١) فنظر إلى المشرك أمامه فخرَّ مستلقيًا فنظر إليه فإذا هو قد خُطِّم(٢) أنفه وشقَّ وجهه كضربة السوط فأخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدَّث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «**صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة**» فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين(٣) والحمد لله رب العالمين.

-18-

تحقق وعد الله عزَّ وجلَّ النبي ﷺ بدخول المسجد الحرام

قال تعالى: ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾.

فكان هذا الوعد في سَنة الحديبية عام ستٍّ ووقع إنجازه في سنة سبع عام عمرة القضاء. فلله الحمد والمنة وسبحان الله علَّام الغيوب.

–١٩–

---

(١) حيزوم: اسم فرس الملك.
(٢) خطم: أي وسم.
(٣) صحيح مسلم (١٢/٨٦).

تحقق وعد الله عزَّ وجلَّ باستخلاف النبي ﷺ وأصحابه في الأرض

قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**﴾.

قال ابن كثير: ولقد صدق الله عزَّ وجلَّ وعده فإنه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها، وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر وإسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة رحمه الله وأكرمه ثم لمَّا مات رسول الله واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق فلم شعث ما وَهَى بعد موته ﷺ وأخذ جزيرة العرب ومهدها وبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس صحبه خالد بن الوليد رضي الله عنه ففتحوا طرفًا منها وقتلوا خلقًا من أهلها، وجيشًا آخر صحبه أبي عبيدة رضي الله عنه ومن اتَّبعه من الأمراء إلى أرض الشام، وثالثًا صحبه عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بلاد مصر، ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخاليفها من بلاد حوران وما والاها، وتوفاه الله عزَّ وجلَّ واختار له ما عنده من الكرامة ومن على أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق، فقام بالأمر بعده قيامًا تامًا، فتمَّ في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها، وديار مصر إلى آخرها، وأكثر إقليم فارس، وكسر كسري وأهانه غاية

الهوان وتقهقر إلى أقصى مملكته وقَصَم قيصر وانتُزع يده عن بلاد الشام واضطَّره إلى القسطنطينية وأُنفق أموالها في سبيل الله كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ عندما قال: «**إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسري بعده، والذي نفسي بيده لتُنفقن كنوزهما في سبيل الله**».

ثم لمَّا كانت خلافة عثمان رضي الله عنه امتدت الممالك لإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ففتحت بلاد المغرب بما فيها القيروان وبلاد سبتة (المغرب) والأندلس ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية وفتحت مدائن العراق وخارسان والأهواز.

فانظر يا عبد الله، كيف جاء تأويل الآية على أوسع معانيها في عصر الصحابة أنفسهم الذين وقع لهم خطاب المشافهة في قوله جلت قدرته (منكم) فبدلوا من بعد خوفهم أمنًا لا خوف فيه واستخلفوا في أقطار الأرض فورثوا مشارقها وغاربها وهذا من علامات النبوة الباهرة المؤيدة لصدق النبي ﷺ فتعسًا لمن لا يعتبر.

-٢٠-

تحقق وعد الله عزَّ وجلَّ للنبي ﷺ بالنصر والتمكين

قال تعالى:﴿**كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾.

وقال تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾.

ولم تمض على هذه البُشرى أيام طويلة حتى وجد المسلمون الجزيرة العربية كلها تحت أقدامهم، فقد انتصرت أقلية ضئيلة لا تملك الخيول ولا الأسلحة على أعداء يملكون الجيوش الجرَّارة والعُدَّة والعتاد، وعَمَّ هذا الدين وغلب على سائر الأديان، وعلت كلمته في زمن الصحابة ومن بعدهم وذلت لهم أكثر البلاد ودان لهم جميع أهلها على اختلاف أصنافهم، وصار الناس إمَّا مؤمن داخل في الدين أو مُهادن باذل الطاعة والمال أو محارب خائف وجل من سطوة الإسلام وأهله.

-٢١-

تحقق وعد الله عزَّ وجلَّ للمؤمنين بالاستغناء بما شرعه لهم من قتال أهل الكتاب وغيرهم

قال تعالى: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾.

وهكذا وقع، عوضهم الله عمَّا كان يغدوا إليهم مع حجاج المشركين بما شرعه لهم من قتال أهل الكتاب وغيرهم، وضرب الجزية عليهم وسلب أموال من قتل منهم على كفره كما وقع بكفار أهل

الشام من الروم ومجوس الفرس بالعراق وغيرها من البلدان التي انتشر الإسلام على أرجائها، حتى أتى على المسلمين يوم يخرج أحدهم بالصدقة فلا يجد محتاجًا يقبلها.

-٢٢-

تحقق وعد الله عزَّ وجلَّ بإيمان الناس -إلا من شاء له الضلالة- بما أظهر من الآيات على إثبات الرسالة

قال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾.

وكذلك وقع، أظهر الله من آياته ودلائله في أنفس البشر وفي الآفاق بما أوقعه من البأس بأعداء النبوة ومخالفي الشرع، ممن كذب به من أهل الكتابين والمشركين والمجوس، وما تبيَّن من الآيات العلمية الكثيرة المبثوثة في القرآن والسنة ما دلَّ ذوي البصائر والنهى على أن محمدًا رسول الله حقًا، وأن ما جاء به من الوحي عن الله عزَّ وجلَّ صدق.

الآيات الكونية في القرآن والتي تُصدقها الأبحاث العلمية الحديثة تجزم بأن هذا الكتاب المقدس مُوحى من عند الله عزَّ وجلَّ.

وأما الأمر الثاني الذي يستحيل الوصول إليه عن طريق الذكاء الفطري والبصيرة النافذة، فهو الأمور العلمية المبثوثة في القرآن الكريم والتي برز صدق هذا الكتاب المقدس، وتجزم بشكل تام أنه مُوحى من عند الله عزَّ وجلَّ، وعلى الرغم من نزول القرآن قبل قرون كثيرة من

عصر العلوم الحديثة فإن أحدًا لم يتمكن من إثبات أية أخطاء علمية فيه، ولو أنه كان كلامًا بشريًا لكان هذا ضربًا من المستحيل خاصة وأن أفكار الناس في زمن محمد ﷺ عن الكون وفروع العلم الأخرى ستبدوا لغوًا باطلًا لو درسناها في ضوء معلومات العصر الحاضر.

-٢٣-

أخباره عزَّ وجلَّ أن الكون كان منضمًا متماسكًا ثم بدأ يتمدد في الفضاء

قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾[1].

فالكون بناءً على تفسير هذه الآيات كان منضمًا ومتماسكًا، ثم يتمدد في الفضاء، وهذه هي النظرية العلمية الحديثة عن الكون، فقد العلماء خلال أبحاثهم ومشاهداتهم لمظاهر الكون إلى أن "المادة" كانت جامدة وساكنة في أول الأمر وكانت في صورة غاز ساخن كثيف متماسك وقد حدث انفجار شديد في هذه المادة قبل ٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ سَنة على الأقل، فبدأت المادة تتمدد وتتباعد أطرافها، ونتيجة لهذا أصبح تحرك المادة أمرًا حتميًا لا بد من استمراره طبقًا لقوانين الطبيعة التي تقول: إن قوة الجاذبية في هذه الأجزاء من المادة تقل تدريجيًا بسبب تباعدها ومن ثم تتسع المسافة

(1) الرتق: المنضم الأجزاء.

بينها بصورة ملحوظة[١] ولعل في ذلك تفسيراً لآية كونية وهي قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي أن الله عزَّ وجلَّ جعل السماء واسعة، أو أنه يوسع ويزيد فيها. والله أعلم.

-٢٤-

إخباره عزَّ وجلَّ أن كلاً من الليل والنهار يطلب الآخر طلبا سريعا

قال تعالى: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ أي أن كلا من الليل والنهار يطلب الآخر طلبًا سريعًا أي يعقبه دون فاصل، وتحوي هذه الآية الكريمة إشارة رائعة إلى دوران الأرض محوريًا، وهو الدوران الذي يعتبر سبب مجيء الليل والنهار طبقًا لمعلوماتنا الحديثة، كذلك قال تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾. وقال تعالى أيضًا: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾. وقال عزَّ وجلَّ أيضًا: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

قال رجل الفضاء الروسي "جاجارين" بعد دورانه في الفضاء حول الأرض: إنه شاهد تعاقبًا سريعًا Rapid Succession للظلام والنور على سطح الأرض بسبب دورانها المحوري حول الأرض[٢].

-25-

---

(١) الإسلام يتحدى (٢١٤).

(٢) الإسلام يتحدى: (٢١٣).

إخباره عزَّ وجلَّ أنه رفع السموات بعمد غير مرئية – الجاذبية–

قال تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾ وهذه الآية مطابقة لما كان يراه الرجل القديم فإنه كان يشاهد عالَمًا كبيراً قائمًا بذاته في الفضاء مكونًا من الشمس والقمر والنجوم، ولكنه لم يرَ لها أية ساريات أو أعمدة، والرجل الحديث يجد في هذه الآية تفسيراً لمشاهدته التي تثبت أن الأجرام السماوية قائمة دون عمد في الفضاء اللانهائي، بيد أن هنالك "عمداً غير مرئية" تتمثل في قانون "الجاذبية" وهي التي تساعد كل هذه الأجرام على البقاء في أمكنتها المحددة[1].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: وقوله: ﴿**بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾ روى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد أنهم قالوا: لها عمد ولكن لا تُرى[2]. فانظر إلى اتفاق ذلك التفسير القديم مع ما أثبتته الكشوف العلمية الحديثة.

–٢٦–

إخباره عزَّ وجلَّ أن الضغط الجوي يقل بالارتفاع عن سطح الأرض

قال تعالى: ﴿**وَمَن يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا**

(١) الإسلام يتحدى: (٢١٢).

(٢) تفسير ابن كثير، سورة الرعد، آية (٢).

يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾.

والذي نعلمه اليوم أن غاز "الأوكسجين" الضروري للتنفس والهواء الجوي عمومًا يقل كلمَّا ارتفعنا عن سطح الأرض، ولذلك يشعر الإنسان بالضيق كلمَّا ازداد ارتفاعًا، حتى يصل إلى درجة الاختناق، وفي هذه الآية دلالة من دلائل النبوة وشهادة بأن القرآن من عند ربِّ السماوات والأرض؛ لأن هذا العلم لم يعرفه عالم أو جاهل من ولد آدم في زمن محمد ﷺ، ولم يُعرف إلا بعد صعود الإنسان في طبقات الجو العليا في العصر الحديث وصدق الله تعالى إذ يقول: **﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾**.

-٢٧-

إخباره عزَّ وجلَّ عن سرعة دوران الأرض

قال تعالى: **﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾**.

وهذه والذي نفسي بيده من أعظم الآيات الدالة على صدق رسول الله ﷺ، في أن هذا الكتاب إنما هو كلام الله ليس كلام البشر، وذلك أنه من المعلوم اليوم أن الأرض تدور حول محورها دورة كاملة كل أربع وعشرين ساعة وهذا -والله أعلم- هو الذي أشار إليه الباري سبحانه وتعالى في الآية، وذلك أن الناظر إلى الجبل القريب منه يراه ساكنًا جامدًا لا يتحرك، أمَّا الحقيقة التي يستطيع أن يستيقنها رجل الفضاء فهي: أن هذه الجبال وإن كانت فيما يرى الناظر ساكنة جامدة، فإنها كما يرى هو من علٍ تمر مر السحاب. فتبارك الله الذي

أحاط بكل شيء علمًا ألا إنه حكيم عليم.

-٢٨-

إخباره عزَّ وجلَّ أن الرياح لواقح

قال تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ**﴾.

وبالأمس كان الإنسان القديم يرى السحب تتكاثر ثم تمطر السماء، أمَّا اليوم فمن المعلوم أن تكاثف بخار الماء على شكل قطرات مطر لا يحدث حتى ولو بلغت نسبة الرطوبة في الكتلة الهوائية ٤٠٠% بدون توفر ذرات ملحية أو ثلجية بالغة الصغر، وأن الرياح هي التي تقوم بنقل هذه الذرات حتى إذا التقت بإذن الله بكتلة هوائية رطبة بدأ التكاثف ثم يهطل المطر، كذلك قوم الرياح ببناء السحابة الرعدية حيث تنقل الهواء الدافئ الشديد الرطوبة من الطبقة الملامسة لسطح الأرض إلى طبقات الجو العليا الشديدة البرودة فيتكاثف ما به من بخار ماء وتتطور السحابة الرعدية ثم يهطل المطر بإذنه تعالى، كذلك تقوم الرياح بنقل حبوب اللقاح من الزهور المُذكَّرة إلى الزهور المُؤنَّثة فحدث الثمرة بإذنه تعالى. وأنى لهذا العلم أن يخطر في عقول الأُميين.

-٢٩-

إخباره عزَّ وجلَّ أن الرياح مُبشرات

قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**

حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾.

وهذا ما نراه اليوم بواسطة صور الأرض وما يعلوها من سحاب، والتي تبثها الأقمار الصناعية يوميًّا، فنرى المنخفض الجوي وما يتضمنه من السحب الثقال يتكون فوق الجزائر في أقصى الغرب ثم يأخذ في التقدم جهة المشرق مارًّا ببقية شمال إفريقية ثم مصر فالجزيرة العربية ثم بلاد فارس معطيًا هذه المناطق ما قدَّره الله لها من الأمطار، وهكذا يسوق الله عزَّ وجلَّ السحاب الثقال، وهذا ما لم يعلمه الأقدمون، ونحن في شرق شبه الجزيرة العربية تكون السماء خلال فصل الشتاء صافية إذا كانت الرياح شمالية غربية ولكن ما أن يقترب من البلاد منخفض جوي حتى تتحول إلى جنوبية شرقية تتلبد معها السماء بالسحب ثم يهطل المطر، وهذه الرياح هي المبشرة به. فسبحان الله الذي أحاط بكل شيء علمًا.

-٣٠-

إخباره عزَّ وجلَّ أن السماء سقف محفوظ

قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آَيَاتِهَا مُعْرِضُونَ**﴾. ويحدثنا العلماء اليوم بأن الهواء المتراكم فوق الأرض لو كان أقل ارتفاعًا مما هو عليه، فإن بعض الشهب التي تحترق بالملايين كل يوم في الهواء الخارجي كانت تضرب في جميع أجزاء الكرة الأرضية في إمكانها أن تشعل كل شيء قابل للاحتراق، ولما كانت السماء سقفًا منيعًا يحفظ الأرض وما فيها من هذه الشهب.

-٣١-

إخباره عزَّ وجلَّ أن المسافات بين النجوم عظيمة

قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

والإنسان القديم كان يرى القبة السماوية وما فيها من نجوم متراصَّة كأنها المصابيح، ولكن لم يكن يعلم البعد بين كل نجم وآخر، وكم يبلغ حجم هذا الكون، إنه بكل تأكيد لم يدرِ بخلده أن المسافات بين النجوم كما يحدثنا علماء الفلك تبلغ حد الخيال، وهي جديرة بأن يقسم بها الخالق لعظمها، فإن مجموعات النجوم التي تكون أقرب مجرَات السماء منا تبعد عنا بنحو ٧٠٠.٠٠٠ سَنة ضوئية، والسَّنة الضوئية تعادل عشرة ملايين الملايين من الكيلو مترات[1].

قال أبو الحسن الماوردي رحمه الله في أعلام النبوة: فإذا ثبت إعجاز القرآن من هذه الوجوه كلها صحَّ أن يكون كل واحد منها معجزاً، فإذا جمع القرآن سائرها كان إعجازه أقهر وحِجاجة أظهر وصار كفلق البحر وإحياء الموتى[2].

قلت: هو أعظم من ذلك وأبهر فهو معجزة باقية إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم في حين ذهبت معجزات الرُسل الأولين وماتت بموتهم.

([1]) الله يتجلى في عصر العلم: (١٦٤).

([2]) أعلام النبوة: ٧٣.

معجزات النبي ﷺ الحسية

المعجزة في حقيقتها هي الحادثة الخارقة للعادة والقوانين التي يُلاحظها الناس، وتسير عليها حوادث الكون يجريها الله تبارك وتعالى تأييدًا لأنبيائه ورسله وحجة على قومهم وذلك من تمام عدله سبحانه وعظيم فضله على الناس، وقد أيد الله عزَّ وجلَّ نبيه ﷺ بمعجزات جسيمة وخوارق عظيمة أبصرها ونقلها الكثير من الصحابة رضي الله عنهم وإليك بعضًا منها:

-٣٢-

إنشقاق القمر بمكة

قال تعالى: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ**﴾.

وقد اتفق العلماء على أن انشقاق القمر حدث في عهد رسول الله ﷺ، وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عند الأمة، ومن ذلك ما رواه البخاري في الصحيح عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه حدَّثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر[1].

وروى البخاري في الصحيح أيضًا عن عبد الله بن مسعود رضي

---

[1] الفتح (٧/٤٤٤).

الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه فقال رسول الله ﷺ: «**اشهدوا**»[١].

-٣٣-

نبع الماء من بين أصابعه الشريفة ﷺ

روى البخاري في الحديث الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة[٢] فتوضأ فجهش[٣] الناس نحوه فقال: «**ما لكم؟**» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يديه في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا. قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة[٤].

-٣٤-

هطول المطر فور استسقائه ﷺ

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أصابت الناس سَنة[٥] على عهد رسول الله ﷺ فبينا رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادعُ الله لنا أن يسقينا، قال: فرفع رسول

---

(١) الفتح (١٠/٢٤٠).
(٢) الركوة: إناء صغير من جلد يُشرب فيه الماء.
(٣) أي أسرعوا نحوه.
(٤) الفتح (٧/٣٩٨).
(٥) أي قحط.

الله ﷺ يديه وما في السماء من قزعة[١] قال: فثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته، قال: فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه إلى الجمعة الأخرى فقام ذلك الأعرابي أو رجل غيره فقال: يا رسول الله تهدَّم البناء وغرق المال فادعُ الله لنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال: «**اللهم حوالينا ولا علينا**» قال: فما جعل يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا تفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة[٢] حتى سال الوادي وادي قناة شهراً قال: فلم يجيء أحد من ناحية إلا حدَّث بالجود[٣].

-٣٥-

تسبيح الطعام وهو يؤكل

روى البخاري في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفًا، كنا مع رسول الله في سفر فقلَّ الماء، فقال: «**اطلبوا فضلة من ماء**» فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال: «**حي على الطهور المبارك والبركة من الله**» فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل[٤].

-٣٦-

([١]) أي قطعة رقيقة من السحاب.

([٢]) أي الفرجة المستديرة الواسعة والسحاب محيطًا بآفاق المدينة.

([٣]) الفتح (١٧٣/٣) ومسلم (١٩٤/٦).

([٤]) الفتح (٤٠٣/٧).

البركة في الطعام في غزوة تبوك

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أو أبي سعيد رضي الله عنه (شك الأعمش) قال: لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، قالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا[١] فأكلنا وادهنا فقال رسول الله ﷺ: «**افعلوا**» قال: فجاء عمر فقال: يا رسول الله إن فعلت قلَّ الظهر[٢] ولكن ادعُهم بفضل أزوادهم ثم ادعُ الله لهم عليها بالبركة لعلَّ الله أن يجعل في ذلك فقال رسول الله ﷺ «**نعم**» قال فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم، قال: فجعل الرجل يجيء بكفِّ ذرة، قال: ويجيء الآخر بكفِّ تمر، قال: ويجيء الآخرة بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، قال: فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ثم قال: «**خذوا في أوعيتكم**» قال: فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه، قال فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيحجب عن الجنة**»[٣].

-٣٧-

البركة في الطعام في غزوة الخندق

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن جابر بن عبد الله

---

(١) أي الإبل التي يستقي عليها.
(٢) أي الدواب.
(٣) مسلم (١/٢٢٦).

رضي الله عنهما قال: لما حُفر الخندق رأيت برسول الله ﷺ خمصًا[١] فاكفأت إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا، فأخرجت لي جرابًا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة، قال: فذبحتها وطحنت ففرغت إلى فراغي فقطعتها في برمتها[٢] ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه، قال فجئته فساررته فقلت: سول الله إنا قد ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعًا من شعير كان عندنا فتعال أنت في نفر معك، فصاح رسول الله ﷺ وقال: «**يا أهل الخندق إن جابرًا قد صنع لكم سؤرًا**[٣] **فحي هلا بكم**» وقال رسول الله ﷺ: «**لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينتكم حتى أجيء**» فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت: بك وبك[٤] فقلت: قد فعلت الذي قلت لي، فأخرجت له عجينتنا فبصق فيها وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك ثم قال: «**ادعي خابزة فلتخبز معك واقدحي**[٥] **من برمتكم ولا تنزلوها**» وهم ألف، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط[٦] كما هي وإن عجينتنا لتخبز كما هي[٧].

-٣٨-

حنين جذع النخلة

---

(١) أي ضامر البطن من الجوع.

(٢) أي في قدرها.

(٣) أي وليمة.

(٤) أي ذمته وانتقصته لأنه أتى بالناس كلهم فخافت نقص الطعام.

(٥) أي اغرفي.

(٦) أي تغلي ويسمع غليانها.

(٧) الفتح (٨/٤٠٢) ومسلم (١٣/٢١٧).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله ألا أجعل لك شيئًا تقعد عليه؟ فإن لي غلامًا نجارًا، قال: «**إن شئت**» فعملت له المنبر، فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنع فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمَّها إليه، فجعلت تئنُّ أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت قال: «**بكت على ما كانت تسمع من الذّكر**» رواه البخاري[1].

-٣٩-

حادثة سراقة بن مالك

روى البخاري في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه من حديث طويل عن هجرة رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه، وكيف تبعهما سُراقة بن مالك؟ قال: فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا فالتفت نبي الله ﷺ فقال: «**اللهم اصرعه**» فصرعه الفرس ثم قامت تحمحم[2] فقال: يا نبي الله مرني بم شئت، قال: «**فقف مكانك لا تتركن أحدًا يلحق بنا**» قال: فكان أول النهار جاهدًا على نبي الله ﷺ وكان آخر النهار مسلحة له[3]. وفي رواية من حديث للبراء بن عازب رضي الله عنهما قال أبو بكر: فارتحلنا بعدما زالت الشمس واتبعنا سُراقة بن مالك،

---

(١) الفتح (٥/٢٢٢).
(٢) الحمحمة: صوت الفرس دون الصهيل.
(٣) الفتح (٨/٢٥٢).

قال ونحن في جلد[1] من الأرض فقلت: يا رسول الله أتينا، فقال: «**لا تحزن إن الله معنا**» فدعا عليه رسول الله ﷺ فارتطمت فرسه إلى بطنها[2] أرى فقال: إني قد علمت أنكما قد دعوتما عليَّ فادعوا لي فالله لكما أن أرد عنكما الطلب فدعا الله فنجا، فرجع لا يلقى أحداً إلا قال: قد كفيتكم ما ها هنا فلا يلقى أحدًا إلا ردَّه، قال: ووفَّى لنا[3].

-٤٠-

انقياد الشجر بأمره ﷺ

روى مسلم في صحيحه، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديًا أفيح[4] فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فاتبعته بأداوة[5] من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم يرَ شيئًا يستتر به فإذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال: «**انقادي عليَّ بإذن الله**» فانقادت معه كالبعير المخشوش[6] الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال: «**انقادي عليَّ بإن**

---

(1) أي في أرض صلبة.

(2) أي غاصت قوائمها في تلك الأرض الصلبة.

(3) الفتح (٧/٤٣٦).

(4) أي واسعًا.

(5) أي إناء صغير من جلد يُتَّخذ للماء.

(6) هو الذي يجعل في أنفه خشاش، وهو عود يجعل في أنف البعير إذا كان صعباً ويشد فيه حبل ليذل وينقاد وقد يتمانع لصعوبته فإذا اشتد عليه وآلمه انقاد شيئًا.

الله» فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لَأَمَ[١] بينهما. فقال: «**التئما عليَّ بإذن الله فالتأمتا**»[٢].

-٤١-

ذعر أبو جهل

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يُعفِّر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لإن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولًا وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «**لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا**»[٣].

-٤٢-

إلقاء النُّعاس على المؤمنين في غزوتي بدر وأُحد أمانًا واطمئنانًا

قال تعالى في شأن غزوة بدر: ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ**

(١) يعني جمع بينهما.
(٢) مسلم (١٤٣/١٨).
(٣) مسلم (١٤/١٧).

الشَّيْطَان وَلِيَرْبطَ عَلَى قُلُوبكُمْ وَيُثَبِّتَ به الْأَقْدَامَ * إذْ يُوحِي رَبُّكَ إلَى الْمَلَائكَة أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذينَ آمَنُوا سَأُلْقي في قُلُوب الَّذينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْربُوا فَوْقَ الْأَعْنَاق وَاضْربُوا منْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾.

وقال تعالى في شأن غزوة أُحد: ﴿**ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ منْ بَعْد الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائفَةً منْكُمْ وَطَائفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ باللَّه غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهليَّة يَقُولُونَ هَلْ لَنَا منَ الْأَمْر منْ شَيْءٍ قُلْ إنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ للَّه﴾**.

وروى البخاري في الصحيح عن أبي طلحة رضي الله عنهما قال: كنت فيمن تغشاه النُّعاس يوم أُحد حتى سقط سيفي من يدي مرارًا يسقط وآخذه، ويسقط فآخذه[١].

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم أُحد انهزم ناس من الناس عن النبي ﷺ، وأبو طلحة بين يدي النبي ﷺ مجوب[٢]، عليه بحجفة[٣]، قال: وكان أبو طلحة رجلًا راميًا شديد النزع[٤]، وكسر يومئذ قوسين أو ثلاثًا، قال: فكان الرجل يمرُّ ومعه الجعبة[٥] من النبل، فيقول: «**انثرها لأبي طلحة** » قال: ويشرف نبي الله ﷺ ينظر إلى القوم، فيقول أبو طلحة: يا نبي الله

---

(١) الفتح (٨/٣٦٧).
(٢) مجوب: أي مترس، ويقال للترس أيضًا: جوبه.
(٣) الحجفة: هي الترس.
(٤) النزع: أي رمي السهم.
(٥) الجعبة: هي الآلة التي توضع فيها السهام.

بأبي أنت وأُمي لا تشرف لا يصبك سهم من سهام القوم، نَحري دون نَحرك، ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم، وإنهما لمشمرتان أرى خدم[١] سوقهما تنقلان القرب على متونها ثم تفرغانه في أفواههم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان تفرغانه في أفواه القوم، ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة إمَا مرتين وأمَا ثلاثًا من النُّعاس[٢].

فهل سمعت يا عبد الله في الدهر عن رجال يرون الموت ما من شيء أقرب إليهم منه والسهام تترامى عليهم من كل مكان والعدو يمعن فيهم ضربًا وطعنًا حتى فرَّ رجال من الصالحين من هول ذلك اليوم العبوس ثم بالرغم من ذلك يغشى من ثبت منهم النَّعاس حتى يسقط السيف من أحدهم المرة تلو المرة؟

أنا لا أعرف شيئًا مثل هذا إلا أن يكون من عند خالق العباد لتصرف بهم، إنما الذي أعلمه أن الرجل المُنهك المُتعب الذي لا شيء أحب إليه في تلك الساعة من النوم إذا أصيب بمصيبة أو أخبر عن فاجعة وقعت فإن النوم يفرُّ من أجفانه أيامًا ولو طلبه ما قدر عليه، ولو كان جميع ما حوله ساكنًا يدعو إلى النوم ويعين عليه.

---

(١) الخدم: هي الخلاخيل.
(٢) الفتح: (٣٦٥/٨) ومسلم (١٨٩/١٢).

إخباره ﷺ عن غيوب مستقبله
فوقعت طبق ما أخبر سواء بسواء

-٤٣-

إخباره ﷺ بكل شيء يكون إلى قيام الساعة

روي البخاري ومسلم في صحيحهما عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ما ترك شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدَّث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه[1].

-٤٤-

إخباره ﷺ عن مصارع المشركين في بدر قبل مصرعهم

روى مسلم وأحمد –واللفظ له– عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كُنَّا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال وكنت حديد البصر فرأيته فجعلت أقول لعمر: أمَا تراه؟ فقال: سأراه وأنا مستلق على فراشي، ثم أخذ يحدثنا عن أهل بدر، قال: إن كان رسول الله ﷺ ليرينا مصارعهم بالأمس، يقول: «**هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله تعالى، وهذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله تعالى**» قال: فجعلوا يصرعون عليها، قلت: والذي بعثك بالحق ما أخطؤوا تيك كانوا يصرعون عليها. وفي رواية مسلم فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التي حدَّ رسول الله ﷺ[2].

---

(1) الفتح (٢٩٧/١٤) ومسلم (١٥/١٨).
(2) مسلم (٢١٦/١٧) وأحمد (٢٦/١).

-٤٥-

إخباره ﷺ عن مقتل أمراء مؤتة قبل أن يأتي الخبر بمقتلهم

روى البخاري في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «**أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب –وعيناه تذرفان– حتى أخذها سيف من سيوف الله –يعني خالد بن الوليد رضي الله عنه– حتى فتح الله عليهم**»[١].

-٤٦-

إخباره ﷺ عن كتاب حاطب الذي بعثه إلى مكة

روى البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: «**ائتوا روضة خاخ**[٢] **فإن بها ظعينة**[٣] **معها كتاب فخذوه منها**» فانطلقنا تعادي[٤] بنا خيلنا فإذا نحن بالمرأة فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب فأخرجته من عقاصها[٥] فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من

---

(١) الفتح (٩/٥٤).

(٢) روضة خاخ بين مكة والمدينة وهي إلى المدينة أقرب.

(٣) الظعينة هي الجارية، وأصلها الهودج وسميت به الجارية لأنها تكون فيه.

(٤) تعادي: أي تجري.

(٥) عقاصها: أي شعرها المضفور جمع عقيصة.

المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**يا حاطب؟ ما هذا**» قال: لا تعجل عليَّ يا رسول الله إني كنت امرأً ملصقًا في قريش (قال سفيان: كان حليفًا لهم ولم يكن من سها وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي ، ولم أفعله كُفرًا ولا ارتدادًا عن ديني ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام، فقال النبي ﷺ: «**صدق**»، فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «**إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[1].

---

(1) الفتح ومسلم (١٩٤١).

-٤٧-

الإخبار عن فتح خيبر من الغد وشفاء عيني عليٍّ بدعوته ﷺ

روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطين هذه الراية رجلًا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**» قال: فبات الناس يدوكون[1] ليلتهم أيهم يعطاها، قال: فلما أصبح الناس غدوًا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يعطاها فقال: «**أين علي بن أبي طالب**» فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه[2] قال: فأرسلوا إليه فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى لم يكن به وجع فأعطاه الرَّاية، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»[3].

وفي الحديث معجزتين ظاهرتين للنبي ﷺ الأولى إخباره بأن الله عزَّ وجلَّ يفتح على يديه فكان كما أخبر، والثانية بصاقه في عينيه ودعائه

---

(1) يدوكون: أي يخوضون ويتحدثون في ذلك.

(2) وجاء في حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن عليًا كان قد تخلف عن النبي ﷺ في خيبر وكان رمدًا فقال: أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ ؟ فخرج علي فلحق بالنبي ﷺ.

(3) الفتح (٨/٧٢) ومسلم (١٥/١٧٨).

له فبرأ في الحال.

-٤٨-

إخباره ﷺ عن رجل يقاتل معه أنه من أهل النار فكان كذلك

روى البخاري في الصحيح عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: التقي النبي ﷺ والمشركون في بعض مغازيه فاقتتلوا فمال كل قوم إلى معسكرهم وفي المسلمين رجل لا يدع من المشركين شاذة ولا فاذة[١] إلا أتبعها فضربها بسيفه، فقيل: يا رسول الله ما أجزأ أحد ما أجزأ فلان فقال: «**إنه من أهل النار**» فقالوا: أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار[٢] فقال رجل من القوم: لأتبعنه فإذا أسرع وأبطأ كنت معه، حتى جرح فاستعجل الموت فوضع نصاب[٣] سيفه بالأرض وذبابه[٤] بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فجاء الرجل إلى النبي ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله فقال: «**وما ذاك**» فأخبره فقال: «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وإنه من أهل النار ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة**»[٥].

وهذا الحديث من علامات النبوة الباهرة إذ أن النبي ﷺ قد أصدر

---

(١) الشاذة والفاذة: ما انفرد عن الجماعة والمراد أنه لا يلقى شيئًا إلا قتله.
(٢) وجاء في رواية أبي هريرة التي في الصحيح: فكاد بعض الناس يرتاب.
(٣) نصاب السيف: أي مقبضه.
(٤) ذباب السيف: حد طرفه الذي بين شفرتيه.
(٥) الفتح (١٣/٩).

على ذلك الرجل حكمًا مُحَدَّدًا لا تدل عليه مقدمة من المقدمات إذ أن أفعال الرجل وقت صدور الحكم أفعال صالحة، وهكذا يظهر صدقه ﷺ في هذه الحادثة وفي غيرها من الحوادث في إخباره أنه رسول الله ﷺ المقدر للأقدار والمطَّلع على الأسرار فتعسًا ثم تعسًا لمن لا يعتبر.

-٤٩-

إسلام أم أبي هريرة بفضل دعوته ﷺ

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليَّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره فادعُ الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اهدِ أم أبي هريرة**» فخرجت مستبشرًا بدعوة نبي الله ﷺ فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف[1] فسمعت أمي خشف[2] قدمي فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء قال: فاغتسلت ولبست درعها[3] وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله،

(١) مجاف: أي مغلق.
(٢) الخشف: أي المر السريع.
(٣) درع المرأة: أي قميصها.

قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح قال: قلت يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً، قال: قلت: يا رسول الله ادعُ الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين وأن يحببهم إلينا. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم حبب عبيدك هذا – يعني أبا هريرة– وأمه إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين**» فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني[1].

وهذا من أعلام نبوته ﷺ إذا استجاب الله عزَّ وجلَّ لدعوته على الفور، فمن يملك يا عبد الله تصريف القلوب من اعتقاد إلى اعتقاد، وتقليب الفؤاد من حال إلى حال إلا رب القلوب وخالقها ومصرفها كيفما يشاء، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على الإسلام حتى نلقاك به.

---

(١) مسلم (١٦/٥٢).

-٥٠-

إخباره ﷺ عن استشهاد عمر وعثمان رضي الله عنهما

روى البخاري في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد أحدًا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: «**اثبت أُحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**»[١] وهكذا وقع الأمر كما أخبر به النبي ﷺ واستشهد عمر ثم تلاه عثمان رضي الله عنهما.

-٥١-

إخباره ﷺ عن استشهاد علي رضي الله عنه

عن عمَّار بن ياسر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أحدثكم بأشقى الناس رجلين؟ أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذا[٢] حتى يبل منك هذه[٣]**» رواه الطبراني والحاكم وصححه الألباني[٤].

وهكذا قتل علي رضي الله عنه وهذه من العلامات الباهرة.

-٥٢-

إخباره ﷺ عن فتح فارس وكثرة المال

---

(١) الفتح (٨/٣٨).
(٢) أي قرنه.
(٣) يعني: لحيته.
(٤) صحيح الجامع الصغير (٢/٣٥٧).

روي البخاري في الصحيح عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: بينما أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة[١] ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال: «**يا عدي هل رأيت الحيرة**» قلت: لم أرَها وقد أنبئت عنها قال: «**فإن طالت بك حياة لترين الظعينة**[٢] **ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدًا إلا الله**» قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دعار طيء[٣] الذين سعروا[٤] البلاد؟ «**ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى**» قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: «**كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله فلا يجد أحدًا يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فيقول: ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالًا وأفضل عليك؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم**» قال عدي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة**» قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ، يخرج ملء كفه[٥].

(١) أي الفقر والحاجة.
(٢) أي المرأة في الهودج.
(٣) الداعر هو الخبيث المفسد.
(٤) أي ملئوا الأرض شرًا وفسادًا.
(٥) الفتح (٧/٤٢٤).

-٥٣-

إخباره ﷺ عن فتح الشام ومصر

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**»[1].

قال الشافعي وسائر العلماء: معناه لا يكون كسرى بالعراق ولا قيصر بالشام كما كان في زمنه ﷺ فكان كذلك، فأما كسرى فانقطع ملكه وزال تمامًا من جميع الأرض، أما قيصر فقد انهزم من الشام ودخل أقاصي بلاده، فافتتح المسلمون بلادهما واستقرت للمسلمين وأنفق المسلمون كنوزهما في سبيل الله كما أخبر ﷺ.وهذه من المعجزات الظاهرة والعلامات الباهرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

-٥٤-

إخباره ﷺ عن قدوم أويس القرني وصفته

روى مسلم في صحيحه عن أسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن -وهم الجماعة الغزاة الذين يمدون جيوش الإسلام في الغزو واحدهم مدد- سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال:

---

(١) الفتح (٤٣٨/٧) ومسلم (٤٢/١٨).

نعم، قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم، قال: هل لك والدة؟ قال: نعم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها برٌّ لو أقسم على الله لأبرَّه فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**» فاستغفر لي فاستغفر له[1].

وهذه القصة من المعجزات الظاهرة فتعسًا والله لمن لا يعتبر.

-٥٥-

إخباره ﷺ عن إصلاح الحسن رضي الله عنه بين الفئتين

روى البخاري في صحيحه عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: أخرج النبي ﷺ ذات يوم الحسن فصعد به على المنبر فقال: «**ابني هذا سيد ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[2].

قال ابن كثير: وهكذا وقع الأمر كما أخبر به النبي ﷺ سواء بسواء فإن الحسن بن علي رضي الله عنهما لما صار إليه الأمر بعد أبيه وركب في جيوش أهل العراق وسار إليه معاوية فتصافا بصفين على ما ذكره الحسن البصري رحمه الله فمال الحسن بن علي إلى الصلح وخطب الناس وخلع نفسه من الأمر وسلمه إلى معاوية وذلك سَنة ٤٠ من الهجرة فبايعه الأمراء من الجيشين واستقل بأعباء الأُمة، فسُمِّي ذلك العام عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على رجل واحد،

---

(1) مسلم (٥٩/١٦).
(2) الفتح (٤٤١/٧).

وقد شهد الصادق المصدوق للفرقتين بالإسلام، فمن كفرهم أو واحدًا لمجرد ما وقع فقد باء بالكفر وخالف النص النبوي الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. فاعلم ذلك يا عبد الله فإنه مَزِلَّة قدم.

-٥٦-

إخباره ﷺ عن استشهاد الحسين رضي الله عنه

روى أحمد عن عائشة أو أم سلمة أن النبي ﷺ قال لإحداهما: «**لقد دخل على البيت ملك لم يدخل على قبلها فقال لي: إن ابنك هذا حسين مقتول، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها**» قال: «**فأخرج لي تربة حمراء**»(١) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح(٢) وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط الشيخين(٣).

وهكذا وقع الأمر كما أخبر النبي ﷺ؛ وروى أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رأيت النبي ﷺ في المنام بنصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه أو يتتبع فيها شيئًا قال: قلت: يا رسول الله ما هذا؟ قال: «**دمُّ الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم**» قال عمَّار بن أبي عمار: فحفظنا ذلك اليوم فوجدناه قتل

---

(١) المسند (٦/٢٩٤).
(٢) مجمع الزوائد (٩/١٨٧).
(٣) الأحاديث الصحيحة (٢/٤٨٥).

ذلك اليوم[١] قال الألباني: إسناده صحيح[٢].

-٥٧-

إخباره ﷺ عن فتح القسطنطينية ورومية (روما)

روى أحمد في مسنده عن أبي قبيل قال: كُنَّا عند عبد الله بن عمرو بن العاص وسُئل أي المدينتين تفتح أولًا القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابًا، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سُئل رسول الله ﷺ أي المدينتين تفتح أولا أقسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هرقل تفتح أولًا**» يعني القسطنطينية[٣] والحديث صححه الحاكم[٤] والذهبي، ووافقهما الألباني[٥].

وقد وقع الأمر الأول كما أخبر به النبي ﷺ فتحقق فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح العثماني رحمه الله كما هو معروف وذلك بعد أكثر من ثمان مائة سَنة من إخبار النبي ﷺ بالفتح، وسيتحقق الفتح الثاني بإذن الله تعالى ولا بد فاسأل الله عزَّ جلَّ أن يجعلك مع من يفتحها إنه هو السميع المجيب.

– ٥٨ –

(١) المسند (٢٤٢/١).
(٢) المشكاة (٢٦٥/٣).
(٣) المسند (١٧٦/٢).
(٤) المستدرك (٥٠٨/٤).
(٥) الأحاديث الصحيحة (٨/١).

إخباره ﷺ عن وفاته في مرضه الأخير وأن ابنته فاطمة عليها السلام أول من تلحق به من أهله

ى البخاري في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: دعا النبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواه التي قبض فيها فسارَها بشيء فبكت ثم دعاها فسارَّها فضحكت قالت: فسألتها عن ذلك فقالت: سارَّني النبي ﷺ فأخبرني أنه يقبض في وجعه الذي تُوُفِّ فيه فبكيت، ثم سارَّني فأخبرني أنني أول أهل بيته اتبعه فضحكت[1].

وهكذا وقع الأمر كما أخبر به رسول الله ﷺ انتقل إلى الرفيق الأعلى في مرضه ذاك، وتبعته إلى رضوان الله ورحمته ابنته فاطمة الزهراء وكانت أول من مات من أهل بيتت النبي ﷺ بعده حتى من أزواجه.

-٥٩-

إخباره ﷺ أن أحد جناحي الذباب داء والآخر شفاء فكان كما أخبر

روى البخاري في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء**»[2].

---

(1) الفتح (٧/٤٤٠).
(2) الفتح (٧/٤٣٧) ومسلم (١٧/١٢٧).

وروى الحديث أيضًا أبو سعيد الخدري وأنس بن مالك رضي الله عنهما بأسانيد صحيحة عند أحمد وابن ماجة والطبراني، وهذا الحديث يزيد النفوس إيمانًا على إيمانها ويقينًا بصدق رسالة نبيها، فهو يقرر عليه الصلاة والسلام أن الذباب فضلًا عن حمله الدَّاء فإنه يحمل أيضًا الدواء، وهذا من العلم الذي لم يثبت إلا قبل سنوات قليلة؛ وتتلخص المسألة في أن الذباب عندما يقع على المواد القذرة فإنه يتغذى ببعضها وينقل بأطرافه بعضًا منها، فيتكون في جسمه مناعة ضد هذه الجراثيم التي ينقلها فلا تضره، وهذه المناعة تشبه ما يسمى بالعقاقير المضادة للحيوية والتي تشتهر بقضائها على الكثير من الجراثيم، وعلى ذلك فإنه عند وقوع الذباب في الشراب فإنه يتلوث بالجراثيم العالقة بأطراف الذبابة فإذا ما غمست كلها فإنها تفرز المواد المضادة لهذه الجراثيم فتقتلها؛ وهذا من علامات النبوة الباهرة فتعسًا لمن تعميه المكابرة عن الاعتبار والحمد لله الواحد القهار.

-٦٠-

خبر الذي تنصر وكذب على النبي ﷺ فلفظه قبره

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان منَّا رجل من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران وكان يكتب لرسول الله ﷺ فانطلق هاربًا حتى لحق بأهل الكتاب قال: فرفعوه، قالوا: هذا الذي كان يكتب لمحمد فأعجبوا به، فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم فحفروا له فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته

على وجهها فتركوه منبوذًا[١].

ولا أدري هل سجَّل هذه الحادثة علماء أهل الكتاب في ارهم أم أنهم تواصوا على كتمانها كما هي عادتهم في كتمان البينات والهدى عن أتباعهم؟ فالله المستعان.

-٦١-

إخباره ﷺ عن أحوال الأمة السياسية من بعده فكان كما أخبر

روى أحمد في مسنده عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون مُلكًا عاضًا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون مُلكًا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على مناهج النبوة ثم سكت**»[٢] وقد كان الأمر من بعده ﷺ كما أخبر.

وقد فسر بعض الصالحين الملك العاض بالخلافات الأموية والعباسية وما والاها، والملك الجبرية بالانقلابات العسكرية الحديثة، وإن صحَّ حدسهم فنحن إن شاء الله تعالى على أبواب ظهور الخلافة الراشدة التي تملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعدما مُلئت ظُلمًا وجورًا،

---

(١) الفتح (٧/٤٣٧) ومسلم (١٧/١٢٧).

(٢) المسند (٤/٢٧٣).

فليت شعري هل ندرك ذلك اليوم؟

شهادة طائفة من المستشرقين والنصارى المنصفين

تعرَّض رسول الله ﷺ لأذى أهل الكتاب في حياته حتى مات مسمومًا بشاة اليهودية، ولم يسلم عليه الصلاة والسلام من أذاهم بعد مماته، فذهبوا وقد أعماهم الحقد الأسود يزعمون أنه كان رئيسًا لقطاع الطرق، وأنه كان متهالكًا على اللهو، وأنه كان ساحرًا، وأنه كان مصابًا بالصرع، وأنه كان قسًّا رومانيًا غضب؛ لأنه لم ينتخب لكرسي البابوية، وفذهب يدعو الناس إلى دين زعمه زعما ،وأنه مات في نوبة سكر بيِّن، وأن جسده وجد ملقى على كوم من الروث وقد أكلت منه الخنازير[1].

ولا يستغرب هذا من حفدة القردة والخنازير، فكم قد آذوا الأنبياء من قبل فقتلوا فريقًا منهم وكذبوا بالفريق الآخر، وكم قد اتهموهم، وكم قد قالوا فيهم قولا عظيمًا؟

ألم يقولوا عن إبراهيم خليل الله أنه كذَّاب؟

ألم يتهموا لوطًا عليه السلام بأنه زنى بابنته؟

ألم يتهموا هارون عليه السلام بأنه دعاهم إلى عبادة العجل؟

ألم يتهموا داود عليه السلام بأنه زنى بزوجه أوريا؟

ألم يتهموا سليمان عليه السلام بأنه عبد الأصنام إرضاءً لزوجته؟

---

(1) راجع حياة محمد (٩-١١).

ألم يتهموا عيسى عليه السلام بأنه ابن زنا؟

فمن كانت هذه حاله مع أنبيائه، فكيف بحاله مع محمد ﷺ الذي قال لهم: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»؟[1].

ومع كل هذا فإن الله تبارك وتعالى يخرج بين يوم وآخر من بين ظهراني هؤلاء الهلكي المقلدين لآبائهم في العمى من ظلمات هذا التقليد الأعمى فينقب ويمحص ويقلب فلا يلبث الحق أن يبرز أمامه مضيئًا وهَّاجًا مبددًا لجميع الشكوك التي تلقفها من الآباء والكهنة والقساوسة فلا يجد عندها من كلام يلفظه إلا التسبيح بحمد الذي غلبت مشيئته المشيئات كلها فأنقذه من الكفر وهداه للإسلام.

قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: درس علماء الإفرنج تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده على طريقتهم في النقد والتحليل ودرسوا السيرة النبوية المحمدية وفلُّوها فليًا ونقشوها بالمناقيش وقرؤوا القرآن بلغته وقرؤوا ما ترجم به أقوامهم، وكانوا على علم محيط بكتب العهدين القديم والجديد وتاريخ الأديان ولا سيما الديانتين اليهودية والنصرانية، وبما كتبه المتعصبون للكنيسة من الإفتراء على الإسلام والنبي والقرآن، فخرجوا من هذه الدروس بالنتيجة الآتية:

إن محمدًا كان سليم الفطرة، كامل العقل، كريم الأخلاق، صادق الحديث عفيف النفس قنوعًا بالقليل من الرزق، غير طموع بالمال، ولا

(1) مسلم (١٨٦/٢).

جنوح إلى الملك، ولم يُعنَ بما كان يعني به قومه من الفخر والمباراة في تحبير الخطب ولا قرض الشعر، وكان يمقت ما كانوا عليه من الشرك وخرافات الوثنية، ويحتقر ما يتنافسون فيه من الشهوات البهيمية كالخمر والميسر وأكل أموال الناس بالباطل؛ وبهذا كله وبما ثبت من سيرته ويقينه بعد النبوة جزموا بأنه كان صادقًا فيما ادَّعاه بعد استكماله الأربعين من سنه من رؤية ملك الوحي، وإقرائه إياه هذا القرآن وإنبائه بأنه رسول الله لهداية قومه فسائر الناس.

وزادهم ثقة بصدقه أنه كان أول الناس إيمانًا به واهتداءً بنبوته أعلمهم بدخيلة أمره وأولهم زوجه خديجة المشهورة بالعقل والنبل والفضيلة، ومولاه زيد بن حارثة الذي اختار أن يكون عبدًا له على أن يلحق بوالده وأهل بيته ويكون معهم حُرًا، ثم أن كان الذي آمنوا به من أعظم العرب حُرَّية واستقلالًا في الرأي ولا سيما أبو بكر وعمر(١).

قال إدوار مونتيه المستشرق المستقل الفكر مدرس اللغات الشرقية في مدرسة جنيف الجامعة في مقدمة ترجمته الفرنسية للقرآن: "كان محمد نبيًا صادقًا كما كان أنبياء بني إسرائيل في القديم، كان مثلهم يؤتي رؤيا ويوحى إليه وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الألوهية متمكنتين فيه كما كانتا متمكنتين في أولئك الأنبياء أسلافه"(٢).

وقال البروفسور بوسورث سميث: "عندما ألقي نظرة إجمالية

---

(١) الوحي المحمدي (٨٤، ٨٥).

(٢) الوحي المحمدي (٥٩).

استعرض فيها صفاته وبطولاته، ما كان منها في بدء نبوته، وما حدث منها فيما بعد وعندما أرى أصحابه الذي نفح فيهم روح الحياة، وكم من البطولات المعجزة أحدثوا، أجده أقدس الناس وأعلاهم مرتبة حتى إن الإنسانية لم تعرف له مثيلاً"[١] فما أصدق ما قال.

وقال الدكتور ليتز: "إنني لأجرؤ بكل أدب أن أقول: إن الله الذي هو مصدر ينابيع الخير والبركات كلها لو كان يوحي إلى عباده فدين محمد هو دين الوحي، ولو كانت آيات الإيثار والأمانة والاعتقاد الراسخ القوي ووسائل التمييز بين الخير والشر ودفع الباطل هي الشاهدة على الإلهام، فرسالة محمد هي هذا الإلهام"[٢].

وقال البروفيسور ستوبارت: "إنه لا يوجد مثال واحد في التاريخ الإنساني بأكمله يقارب شخصية محمد، ألا... ما أقل ما أمتلكه من الوسائل المادية وما أعظم ما جاء به من البطولات النادرة، ولو أننا درسنا التاريخ من هذه الناحية فلن نجد فيه اسمًا منيراً هذا النور وواضحًا هذا الوضوح غير اسم النبي العربي"[٣].

إن هذه السيرة غير العادية وهذا الإجلال والتكريم والتقدير وهذا السجل التاريخي الممتاز لحياة محمد ﷺ قبل إعلان النبوة وبعدها ليس له مثيل في التاريخ الإنساني ولم يسبق أن نال مثله من ولد آدم أحد فلله الحمد والمنة أن جعلنا من أمته ولله الحمد والمنة أن جعلنا من أهل

([١]) الإسلام يتحدى (١٧٩).

([٢]) المرجع السابق (١٧٦).

([٣]) المرجع السابق (١٩٤).

الكتاب والسُّنة يوم زاغ أكثر الناس عن سُنَّته وسُنَّة صحابته.

وروى العالم الهندي الدكتور عناية الله المشرقي عن الفلكي الإنجليزي المشهور السير جيمس جينز الذي كان إذا تحدث عن تكوين الأجرام السماوية وأبعادها وطرقها ومداراتها وجاذبيها وطوفان أنوارها المذهلة، تنهمر الدموع من عينيه وترتعد يداه من خشية الله فلما قرأ عليه عناية الله الآيات من سورة فاطر ﴿**وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ**[1] **بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ**[2] * **وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ صرخ السير جيمس قائلا: ماذا قلت؟ (إنما يخشى الله من عباده العلماء)؟ مدهش وغريب وعجيب جداً، إنه الأمر الذي كشفت عنه بعد دراسة ومشاهدة استمرت خمسين سنة، من أنبأ محمد به؟ هل هذه الآية موجودة في القرآن حقيقة؟ لو كان الأمر كذلك فاكتب شهادة مني أن القرآن كتاب موحى من عند الله.

ويستطرد السير جيمس قائلا: لقد كان محمدًا أميًّا ولا يمكنه أن كشف عن هذا السر بنفسه ولكن الله هو الذي أخبره بهذا السر، مدهش وغريب وعجيب جدًا[3].

قلت: لا هو مدهش ولا غريب ولا عجيب، فإن محمداً لم يأت بالقرآن من تلقاء نفسه فيعجب المرء أن يحط الأمي بهذه العلوم، ولكن المدهش والغريب والعجيب أن يستيقن العلماء أن محمدًا صادق في دعوى الرسالة ثم لا يسلمون.

---

(١) أي طرائق.

(٢) أي جبال طوال سود.

(٣) الإسلام يتحدى (٢٢٨).

وقالت الدكتورة فاغليري: إن الناس في حاجة إلى دين ولكنهم يدون من هذا الدين في الوقت نفسه أن يلبي حاجاتهم وأن لا يكون قريبًا إلى عواطفهم فقط بل أن يقدم إليهم أيضًا الطمأنينة والسلامة في هذا الحياة الحاضرة وفي الحياة الآخرة معًا، والواقع أن الإسلام يفي ه المطالب على الوجه الأكمل لأنه ليس مجرد عقيدة ولكنه إلى جانب ذلك أيضًا فلسفة حياة، إنه يعلم التفكير الصائب والعمل الصالح والكلام الصادق وهو لهذه الأسباب يتخذ سبيله إلى عقل الإنسان وقلبه في غير عسر[١].

وقال الأستاذ فارس الخوري[٢]: إن محمدًا أعظم عظماء العالم ولا يجد الدهر بمثله بعد، والدين الذي جاء به أوفى الأديان وأتمها وأكملها، إن محمدًا أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية ولم يستطع علماء القانون المنصفون إلا الاعتراف ضل الذي دعا الناس إليها باسم الله وبأنها متفقه مع العلم مطابقة لأرقى النظم والحقائق العلمية[٣].

انتهى بحمد الله،،،

المراجع

(١) القرآن الكريم.

([١]) دفاع عن الإسلام (٩٠).

([٢]) فارس الخوري وزير مسيحي سوري، وقد قال هذا الكلام القيم في حفل أقيم بدمشق في ربيع الأول عام ١٣٥٤هـ لذكرى المولد النبوي.

([٣]) مع الرعيل الأول (٢٣٨).

(٢) أعلام النبوة لأبي الحسين علي بن محمد الماوردي الشافعي. بيروت (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م).

(٣) الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م).

(٤) الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان. بيروت (١٣٩٠هـ ١٩٧٠م).

(٥) السيرة النبوية لابن هشام. القاهرة (١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م).

(٦) الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) بيروت (١٩٥٨م).

(٧) الله يتجلى في عصر العلم. إشراف جون كلوفر مونسما. القاهرة (١٩٦٨م).

(٨) المستدرك للحاكم النيسابوري. الرياض.

(٩) الموطأ للإمام مالك. القاهرة.

(١٠) النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز. بيروت (١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م).

(١١) الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا.

(١٢) إنجيل برنابا(١٣٩٣هـ -١٩٧٣م).

(١٣) تفسير ابن كثير. بيروت (١٣٨٩هـ -١٩٧٠م).

(١٤) حياة محمد لمحمد حسنين هيكل. القاهرة (١٩٦٣م).

(١٥) دفاع عن الإسلام للورافيشيا فاغليري. بيروت (١٩٦٠م).

(١٦) صحيح مسلم. شرح النووي. القاهرة.

(١٧) صحيح الجامع الصغير للسيوطي. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. بيروت (١٣٨٨هـ-١٩٦٩م).

(١٨) فتح الباري بشرح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني. القاهرة

(١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م).

(١٩) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين الهيثمي. بيروت (١٩٦٧م).

(٢٠) مسند الإمام أحمد. بيروت(١٣٨٩هـ -١٩٦٩م).

(٢١) مشكاة المصابيح لولي الدين التبريزي. دمشق (١٣٨٠هـ - ١٩٦١م).

(٢٢) مع الرعيل الأول لمحب الدين الخطيب. القاهرة (١٣٩٠هـ).

(٢٣) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني. القاهرة (١٣٦٢هـ ١٩٤٣م).

الفهرس